الفصل الثالث

أبعاد التأويل وآفاقه
ومدى استجابتها للميزان القرآني

مما تقدم بيانه في الفصلين السابقين يتضح أن للتأويل أبعاداً تستغرق الزمن ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

وآفاقاً تشمل الكون المشاهد وغير المشاهد، وذلك لأن التأويل من حيث النظرة الإسلامية يتجه إلى النص القرآني، والنص النبوي المبين له.

والقرآن هو آيات الله المتلوة الشاملة بمعانيها وأبعادها للكونين، والمعبرة بصراحة تارة، وبالإشارة أخرى عن آيات الله فيهما.

فالقرآن هو الكون المتلو، والعالم بمظهريه الحاضر والغائب هو الكون المشاهد في الحياة الدنيا، والموعود بمشاهدته في الحياة الأخرى.

وبما أن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل على محمد ـ ﷺ ـ الذي بعثه الله إلى الناس كافة ليخرجهم بواسطة هديه وتشريعه من الظلمات إلى النور، فأبعاد تأويله من حيث الزمن تبتدىء من بعثة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي تجلت فيها أنوار الرسالة الخاتمة إلى نهاية الحياة الدنيا ما دام القرآن، وما دامت السنّة النبوية التي قال عنها عليه الصلاة والسلام: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[1].

(1) أورده الإمام البغوي في كتابه «شرح السنة» ج 1 ص 201 كما أورده الدكتور مصطفى السباعي في=

فالتأويل بمعنى: التفسير والبيان هو موضوع السنّة النبوية ودورها الأساسي إزاء القرآن الكريم قال الله تعالىٰ ـ مخاطباً نبيّه الأكرم ـ : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم**﴾[1].

قال العلاّمة الألوسي في تفسيره «روح المعاني» أثناء تفسيره لهذه الآية: وعن مجاهد أن المراد بهذا التبيين: تفسير المجمل، وشرح ما أشكل إذ هما المحتاجان للتبيين، وأما النص والظاهر فلا يحتاجان إليه. وقيل المراد به: إيقافهم على حسب استعداداتهم المتفاوتة على ما خفي عليهم من أسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى ولا يختص ذلك بتبيين الحرام والحلال وأحوال القرون الخالية والأمم الماضية، واستأنس له (أي صاحب هذا الرأي استأنس لرأيه ومال إليه) بما أخرجه الحاكم وصححه عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ـ ﷺ ـ مقاماً أخبرنا فيه بما يكون إلى يوم القيامة عقله منا من عقله ونسيه من نسيه» وهذا في معنى ما ذكره غير واحد أن التبيين أعمّ من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدلّ عليه. ويدخل فيه القياس، وإشارة النص، ودلالته وما يستنبط منه من العقائد والحقائق والأسرار الآلهية[2].

فقوله: أن التبيين أعمّ من التصريح بالمقصود، ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه إلى آخر ما قال، هو التأويل على ما ذهب إليه بعضهم من أنه بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل: كما تقدم.

وعلى هذا فبيان القرآن وتأويله كان يقوم به الرسول ـ ﷺ ـ وكان أصحابه يأخذون ذلك عنه.

= كتابه «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» وقال في تخريجه: رواه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب عن رسول ﷺ ص 51 ط 3 بيروت، 1402 هـ/ 1982 م نشر المكتب الإسلامي.

(1) سورة النحل آية 44.

(2) «روح المعاني» للألوسي ج (13 - 14) ج 14 ص 150.

روي عن أبي عبد الرحمن السلمي[1] أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبيّ ـ ﷺ ـ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل، جميعاً[2].

وعن الصحابة أخذ التابعون، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، وعنهم أخذ علماء المسلمين جيلاً بعد جيل وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وذلك لأن أسرار القرآن وعلومه لا تكاد تحصى، وعطاءه لا ينقطع، والمفتاح الذي يفتح أبواب هذه الأسرار، والمدد الذي يجعل العطاء مفيداً نافعاً، ولا يتجاوز في إفادته ونفعه ما أراده الله لخلقه، هو بيان الرسول عليه الصلاة والسلام، وما بلّغه عنه أصحابه من بعده وخاصة العلماء والفقهاء منهم.

قال الإمام احمد: إن الله جلّ ثناؤه وتقدسّت أسماؤه بعث محمداً بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتّبعه. وجعل رسوله الدّال على ما أراد من ظاهره وباطنه. وخاصّه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد له الكتاب، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ هو المعبّر عن كتاب الله، الدّال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيّه، واصطفاهم له. ونقلوا ذلك عنه فكانوا هم أعلم الناس برسول الله ﷺ وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم وما قصد له الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ـ ﷺ ـ قال جابر: ورسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا عليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به[3].

---

(1) هو عبد الله بن حبيب التابعي المقري المتوفى سنة 72 هـ وهو غير ابن عبد الرحمن السلمي الصوفي المتوفى سنة 412 هـ.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي ج 1 ص 49 - 50 طبع ونشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة 1381 هـ/ 1961 م.

(3) أعلام الموقعين ج 2 ص 290 - 291.

فمن هذا القول للإمام احمد نستنتج أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: هو أن التأويل بدىء برسول الله ـ ﷺ ـ ويؤخذ هذا من قوله: فكان رسول الله ـ ﷺ ـ هو المعبر عن كتاب الله الدّال على معانيه.

فالدلالة على المعنى المراد لله في آي كتابه هو التأويل.

الأمر الثاني: هو أن صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ أخذوا عنه التأويل وبلّغوه إلى من بعدهم من العلماء ويؤخذ هذا من قوله: شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيّه، واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه. . . . فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ـ ﷺ ـ وهذا من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ هو سند الأئمّة والعلماء الراسخين في مجال التأويل الهادف إلى بيان مراد الله في آي كتابه.

الأمر الثالث: هو أن التأويل المأخوذ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قد يكون من نوع المعنى الأصلي. وهو صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل، وهذا يؤخذ من قول جابر: «ورسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به».

فقوله: «وهو يعرف تأويله» يستنتج منه أن المعنى البعيد من الآية يأخذه الصحابة من بيان الرسول عليه الصلاة والسلام. لأن المعرفة التي اختص بها الرسول ليست في متناولهم، وللوصول إليها يلتجئون إليه عليه الصلاة والسلام ليمدهم ببعضها، وربما خفي عنهم منها. وذلك هو التأويل.

ولهذا لم أجد حرجاً عندما قلت أبعاد التأويل في الإسلام من حيث الزمن تبتدىء بالرسول عليه الصلاة والسلام إلى نهاية الحياة الدنيا ما دام القرآن الكريم. وما دامت السنّة النبويّة، وما دام الفكر الإسلامي الذي يعمل أعلامه الراسخون في العلم على تدبّر القرآن، وعلى تأويله. واستخراج أبعاد معانيه.

إلّا أنّ التأويل في العهود التي بعد عهد النبوة منه المحبوب والمندوب إليه. وهو المنطلق من الحقّ، للوصول إلى الحقيقة وإلى اليقين العلمي، وهذا ما جاء في دعاء رسول الله ـ ﷺ ـ لعبد الله بن عباس حيث دعا له فقال: «اللهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل» ومنه المكروه وقد يصل إلى المحرّم. وهو المنطلق من الباطل لزرع الشكوك والأوهام استجابة لهوى النفوس، ولزيغ القلوب. وهذا ما حذّر منه عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ، : حدّث أبو حازم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بيّن فسقه. ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله[1].

هذا بعد التأويل من حيث الزمن. وأما بعده من حيث ما تولد عنه من مدارس ومذاهب ومن فرق ونحل. فأول مدرسة انطلق منها التأويل هي مدرسة الرسول ـ ﷺ ـ وقد شملت هذه المدرسة ببيانها وتفسيرها، وبتأويلها جميع نواحي الإسلام والمسلمين عقيدة وهداية وتشريعاً. بل جميع نواحي الإنسان في هذا الوجود المادي المشاهد، وفيما ينتظره من الوجود الآتي غير المشاهد. وهذا ما يدل عليه قوله وتعالىٰ: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾**[2].

وقوله: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**[3] وقوله: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم﴾**[4] وقوله: **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم. . .﴾**[5].

وقد كان بيان رسول الله ـ ﷺ ـ وتفسيره وتأويله لصحابته ولغيرهم من كافة

---

(1) جامع بيان العلم وفضله. لابن عبد البر ج 1 ص 238 ط الثانية 1388 هـ/ 1968 م المطبعة السلفية المدينة المنورة.

(2) سورة سبأ آية 28.

(3) سورة الأعراف آية 158.

(4) سورة سبأ آية 44.

(5) سورة النحل آية 64.

الناس بواسطة أقواله وتقريراته التي هي محاور سنّته ومنابع بيانه وتأويله لما أراد الله لعباده من عقيدة وعبادة وتشريع ومن هداية ليدركوا حقيقة أنفسهم والكون والحياة وليعلموا العلاقة التي ينبغي أن تكون بينهم وبين الله، وبينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين الكون والحياة.

فقد كان بيانه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتفسيره وتأويله، أساساً ومنطلقاً لكن المدارس والمذاهب ولكل الفرق والنحل التي تربط انطلاق وجودها وأبعاد إشعاعها بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام، وبمنهج الإسلام في عامة مباديه وأهدافه، سواء منها التفسيرية، والفقهية، والأصولية، والكلامية، والفلسفية، أو غيرها من بقية مدارس العلم ومذاهب المعرفة.

فالمدرسة الأولى التي تلقى أصحابها عن الرسول الأكرم مباشرة وأخذوا عنه كيفية التأويل القريب منه والبعيد.

فالقريب يستفاد من الحديث المروي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان ـ ﷺ ـ يقول في ركوعه: سبحانك اللّهم ربّنا وبحمدك اللهم اغفر لي ـ يتأول القرآن»[1] أي يعمل بقوله تعالىٰ: ﴿**فسبّح بحمد ربّك واستغفره**﴾[2] فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقولها (يتأول) صريح في أنه عليه الصلاة والسلام فسّر الآية بالظاهر منها. وهذا من التأويل القريب.

وأما التأويل البعيد فقد روي عن الرسول ﷺ تأويل بعيد ومعنى مراد من سورة (النصر) يتجاوز ظاهرها. أخرج احمد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ قال رسول الله ﷺ نعيت إليَّ نفسي أني مقبوض في تلك السنة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس

(1) تقدم الاستشهاد به في الفصل الأول ص 35.
(2) سورة النصر آية 3.

قال: لما نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ نعيت إليّ نفسي وقرب أجلي[1].

وهذا التأويل حافظ عليه الصحابة وبلّغوه لبعضهم بعضاً في مجالس حوارهم وفي تدبرهم لآي القرآن الكريم، وفي استنباطهم لمعانيها الباطنة. أخرج سعيد بن منصور وابن سعد والبخاري وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم معاً في الدلائل عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني وأشياخ بدر فقال له عبد الرحمن بن عوف لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: انني ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال: ما تقولون في قوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون...﴾. والفتح فتح مكة. ذلك علامة أجلك: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[2] وقد أخذ الصحابة التأويل عن رسول الله ﷺ وبلّغوه عنه لغيرهم سواء ما كان منه في آي القرآن الكريم، أو ما كان فيما يراه مناماً وهو نوع من أنواع الوحي.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثّدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه» قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدّين»[3] وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ قال:

---

(1) الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 406 - 407.

(2) الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 406 - 407.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 1 ص 73 طبع ونشر المكتبة السلفية.

«بينا أنا نائم أوتيت بقدر لبن فشربت حتى إنّي لأرى الرّيّ يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: «العلم»[1].

وعن الشعبي عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ قال: «هم اليهود» ﴿ولا الضالين﴾ قال: «النصارى هم الضالون»[2]

وأخرج الإمام احمد عن عبد الله قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[3] شقّ ذلك على الناس وقالوا: يا رسول الله فأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «انه ليس الذي تعنون؟ ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[4] إنما هو «الشرك»[5].

وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضّة﴾ ـ الآية[6] كبر ذلك على المسلمين وقالوا: ما يستطيع أحد منا أن يترك لولده ما لا يبقى بعده؟ فقال عمر: أنا أفرج عنكم فانطلق عمر واتّبعه ثوبان، فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبيّ الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال نبيّ الله ﷺ: «ان الله لم يفرض الزكّاة إلا ليطيّب بها ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم» قال فكّبر عمر[7].

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الأسماء والصفات عن

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 1 ص 180 طبع ونشر المكتبة السلفية.
(2) تفسير ابن كثير ج 1 ص 46 كتاب الشعب.
(3) سورة الأنعام آية 82.
(4) سورة لقمان آية 13.
(5) تفسير ابن كثير ج 3 ص 288.
(6) سورة التوبة آية 34.
(7) تفسير ابن كثير ج 4 ص 82.

عبد الله بن عمرو قال: جاء فئام الناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد، وقال عمر: الحسنات والسيئات من الله فتابع هذا قوم، وهذا قوم؟ فقال رسول الله ﷺ «لأقضين بينكما بقضاء إسرافيل بين جبرائيل وميكائيل إن ميكائيل قال بقول أبي بكر، وقال جبرائيل بقول عمر. فقال جبرائيل لميكائيل انا متى نختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فلنتحاكم إلى إسرافيل فتحاكما إليه فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره حلوه ومره، كله من الله. ثم قال: يا أبا بكر ان الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق إبليس فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله[1].

فهذا الأثر الذي اشتمل على تأويل رسول الله ﷺ المستفاد من قوله «لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس» وهو تأويل يتعلق بقضية قد ثار الجدل حولها، وما زال، وللوصول إلى اليقين فيها تكوّنت حولها مذاهب وفرق، وهي قضية القضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومرّه. وما ينسب إلى الله، وما ينسب إلى العبد، من حيث العقيدة، وهي قضية قد أثيرت حسبما جاء في هذا الأثر وقت الرسول ﷺ ـ وكان رأي أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ هو أن الشر من كسب الإنسان وإن الخير من الله، وهذا قد تأوله من قوله تعالىٰ: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك**﴾[2].

وكان رأي عمر ـ رضي الله عنه ـ يخالف رأي أبي بكر وهو أن الحسنات والسيئات جميعاً من الله وبقضائه وقدره وأن الإنسان لا كسب له في ذلك. وهذا قد تأوله من قوله تعالىٰ: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾[3].

وأخيراً أجابة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ـ وتأوّله الذي يؤيد ما ذهب إليه عمر، وهي قضية بعد عهد الرسول والخلفاء الراشدين أثيرت بحدّة

---

(1) الدر المنثور للسيوطي ج 1 ص 94.
(2) سورة النساء آية 79.
(3) سورة الصافات آية 96.

فتشعبت فيها الآراء وتاهت ـ وراء البتّ فيها ـ أفكار المفكرين وعقول المتفلسفين وحسب ما جاء في هذا الأثر تاه وحار في إدراكها حتى ملائكة الله في عالمهم العلوي، ويبدو أن طلب إدراكها بواسطة العقل المجرد طلب للمستحيل، وإن مفتاح حلّها بيد من يتدبّر كلمة الوحي بخالص عقله، وعميق إدراكه، ويستعين ـ مع ذلك بإلهام البصيرة وقوة الإيمان. فالصحابة رضوان الله عليهم قد أخذوا مباشرة من الرسول عليه الصلاة والسلام كيفية البيان والتأويل.

وقد تخرج عنه في مجال الفتوى والتأويل عدد كبير من صحابته وقد ضبط عددهم ابن قيّم الجوزية في كتابة «أعلام الموقعين» مبيناً وذاكراً أسماء المكثرين منهم، والمتوسطين والمقلين ـ فقال:

والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر.

ثم ذكر عدد المتوسطين بأسمائهم وعدد المقلين بأسمائهم[1].

وبما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ في مقدّمة من تخرّج من مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ في مجال الفتوى والتأويل أذكر بعضاً مما وقع منه، أو بطلب منه أو بحضوره. من ذلك: ما روي أن عمر بن الخطاب ـ تأولاً منه للآية الرابعة من سورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ منع من أكل ذبائح نصارى العرب.

أخرج ابن أبي حاتم عن عمر ـ رضي الله عنه، قال: لا تأكلوا ذبيحة المجوس، ولا ذبيحة نصارى العرب، أترونهم أهل كتاب؟ فإنهم ليسوا بأهل كتاب، قال الله تعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم﴾،

---

(1) أعلام الموقعين ج 1 ص 12 - 14.

وإنما أرسل عيسى عليه السلام بلسان قومه، وأرسل محمداً ﷺ بلسان قومه عربي، فلا لسان عيسى ـ عليه السلام ـ أخذوا، ولا ما أنزل على محمد ﷺ اتبعوا، فلا تأكلوا ذبائحهم فإنهم ليسوا بأهل كتاب[1].

وتأولاً للآية الخامسة والعشرين من سورة الحج ﴿. . . **والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد**. . .﴾، نهى عمر أهل مكّة أن يتّخذوا لدورهم أبواباً، لينزل الحاج حيث شاء. أخرج ابن أبي شيبة عن عطاء قال: كان عمر يمنع أهل مكّة أن يجعلوا لها أبواباً حتى ينزل الحاج في عرصات الدور[2].

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عمر أنه قال: يا أهل مكّة لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزل البادي حيث شاء[3].

وتأولاً منه لهذه الآية أيضاً اعتبر حرم مكة لكافة المسلمين، فلا تقطع أرضه لأحد ليملكها ويورّثها. أخرج ابن سعد عن عمر بن الخطاب أن رجلاً قال له عند المروة: يا أمير المؤمنين أقطعني مكاناً لي ولعقبي فأعرض عنه عمر، وقال: هو حرم الله «سواء العاكف فيه والباد»[4].

وتأولاً منه للآية الثانية والعشرين من سورة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ منع بيع الأمة إذا أصبحت أمّ حرّ، وأبان للمسلمين تحريم ذلك. أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ إذ سمع صائحاً فقال: يا يرفأ[5] انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء فقال: جارية من قريش تباع أمها، فقال عمر رضي الله عنه : ادع لي المهاجرين والأنصار، فلم يمكث إلا ساعة

---

(1) الدر المنثور السيوطي ج 4 ص 70.
(2) الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 351.
(3) (4) الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 351.
(5) (يرفأ): اسم غلام لعمر.

حتى امتلأت الدار والحجرة، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فهل تعلمون كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟ قالوا: لا، قال: فإنها أصبحت فيكم فاشية، ثم قرأ ﴿**فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم**﴾ ثم قال: وأيّ قطيعة أفظع أن تباع أمّ أمرىء فيكم، وقد أوسع الله لكم قالوا: فاصنع ما بدا لك، فكتب في الآفاق أن لا تباع أمّ حرّ فإنها قطيعة رحم، وأنه لا يحلّ[1] وتأولاً للآية الخامسة من سورة القصص وهي قوله تعالىٰ: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين**﴾ كان عمر ينتدب بعضاً من المسلمين لا لوجاهتهم ولمركزهم الاجتماعي، وإنما من الذي استضعفوا وكانوا ممن جاهد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الحقّ فيجعلهم ولاة له على بعض الجهات تحقيقاً لما يستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض**﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: قال عمر: اني استعملت عمّالاً لقول الله ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض**﴾[2].

ودعماً لهذه الأمثلة الدّالة على اعتماد مدرسة الصحابة على التأويل الذي أخذوا كيفيته وأسلوبه عن رسول الله ﷺ ـ أذكر الأمثلة التالية التي وقعت زمن عمر، وبمشاركته.

روي أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر فقال: ان قدامة شرب فسكر فقال عمر: من يشهد على ما تقوله؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقوله، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربت كما يقول ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم؟

---

(1) الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 64.
(2) نفس المرجع ج 5 ص 120.

قال لأن الله يقول: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتّقوا وآمنوا ثم اتّقوا وأحسنوا**﴾[1].

فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتّقوا وآمنوا ثم اتّقوا وأحسنوا شهدت مع رسول الله ﷺ ـ بدراً وأحداً والخندق، والمشاهد فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: ان هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين وحجّة على الباقين لأن الله يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**﴾[2]. قال عمر: صدقت[3].

وأيضاً روي أن الصحابة فرحوا حينما نزل قوله تعالىٰ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم . . .**﴾[4] لظنّهم أنها مجرّد أخبار وبشرى بكمال الدّين، ولكن عمر بكى وقال: ما بعد الكمال إلا النقص مستشعراً من الآية، ومتأولاً لها بأنها نعي النبي ﷺ وقد كان مصيباً فيما ذهب إليه من تأويل وفهم إذ لم يعش النبي ﷺ بعدها إلا واحداً وثمانين يوماً كما روي[5].

وهذا يدلّ على مدى يقظة عمر ـ رضي الله عنه ـ ومدى سرعته في الفهم والاستنباط والتأويل. ثم الصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ كانوا يؤولون آي القرآن الكريم، وينقدون بعضهم بعضاً في التأويل حتى لا يقعوا فيما لا يرضي الله ورسوله، مثل ما تقدم في قضيّة قدامة بن مظعون بل كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يحاسب حساباً شديداً ويعاقب من يستعمل التأويل إرضاء لميله الشخصي، أو من يسعى للتأويل إثارة للفتنة.

---

(1) سورة المائدة، آية: 93.

(2) سورة المائدة آية 90.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي ج 1 ص 60 والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (مج 5 - 6) ج 6 ص 297 مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1387 هـ/ 1967 م.

(4) سورة المائدة آية 3.

(5) الموافقات للشاطبي ج 3 ص 256 ط القاهرة بدون تاريخ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

عن قتادة أن امرأة تأولت قوله تعالىٰ: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾[1] فتسرّت غلاماً لها، فذكرت لعمر، فسألها ما حملك على هذا؟ فقالت: كنت أرى انه يحلّ لي ما يحلّ للرجل من ملك اليمين، فاستشار عمر فيها أصحاب النّبيّ ﷺ، فقالوا: تأوّلت كتاب الله على غير تأويله، فقال عمر: لا جرم، والله لا أحلك لحرّ بعده أبداً ـ كان عاقبها بذلك ـ ودرأ عنها الحدّ، لما في أمرها من شبهة وأمر العبد أن لا يقربها[2].

وأخرج الدارمي عن نافع أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برىء ثم عاد له ثم تركه حتى برىء فدعا به ليعود له، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن لا يجالسه أحد من المسلمين[3] وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس صبيغاً، وأن يحرم عطاؤه ورزقه[4].

وأخرج نصر في الحجة، وابن عساكر، عن زرعة قال: رأيت صبيغ بن

---

(1) سورة المؤمنون آيتا 5 - 6.

(2) الدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 5. (أخرجه عبد الرزاق عن قتادة). وهذا الأثر أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ج 5 ص 457 بالاسناد والتعبير التاليين: وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا سعيد، عن قتادة، أن امرأة اتخذت مملوكها وقالت: تأولت آية من كتاب الله ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ فأتى بها عمر بن الخطاب فقال له ناس من أصحاب النّبيّ ﷺ تـأوّلت آية من كتاب الله على غير وجهها، قال: فغرّب العبد وجزّ رأسه وقال: أنت بعده حرام على كل مسلم. ثم علّق عليه بقوله: هذا أثر غريب منقطع، ذكره ابن جرير في أول تفسير سورة المائدة وهو ههنا أليق، وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها. والله أعلم.

(3) (4) الدر المنثور المرجع السابق ج 2ص 7.

عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه[1].

يبدو من هذه الآثار أن عمر ـ رضي الله عنه ـ إنما كان شديداً على صبيغ العراقي فضربه وأهانه، وأمر المسلمين أن يهجروه ولا يجالسوه، إنما كان ذلك من عمر لا لمجرد سؤال صبيغ عن متشابه القرآن من أجل المعرفة، وإنما لأن سؤاله كان من أجل ابتغاء الفتنة، ودفعهم إلى التأويل المثير لها.

وإثارة الشبهات حول كتاب الله وحول العقيدة السليمة بدفع الناس إلى التأويل ابتغاء الفتنة، تشتّت شمل الجماعة، وتهدم كيان الأمة، وتجعل المسلمين مشغولين بالجدل من أجلها تأييداً وتثبيتاً، أو دفعاً وإزالة في وقت هم في أشدّ الحاجة إلى قوّتهم ووحدة صفّهم في سبيل بناء الدولة الإسلامية ونشر شريعة الإسلام وهديه بين كافة الناس، في مشارق الأرض ومغاربها.

فإثارة الشبهات حول كتاب الله وعقيدة الإسلام في مثل هذه الظروف، هو من أعظم الفتن، ومن أخطرها على الإسلام والمسلمين، ولهذا واجه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين طلائع هذه الفتنة بشدّة، وهو الحصيف الرأي البعيد النظر، الشديد في الحقّ، وأخمدها في مهدها، فضرب صبيغاً وأهانه وأمر بالتشهير به وبإبعاده عن المجتمع حتى لا يخرّبه، ويقضي على وحدته، وأمر المسلمين بأن يتجنبوا مجالسته والتعامل معه، كي لا يشلّ عقولهم بالشبهات، وينال من عقيدتهم بالأباطيل والضلالات، فيشتّت شملهم، ويذهب قوّتهم، ويؤول بهم الأمر وقتئذ إلى القعود على بناء الدولة، وعن تبليغ هدى الله، ونشر شريعته بين الناس.

ومن مدرسة الصحابة هذه بمنهجها وبطريقة معالجتها للقضايا، وبأسلوبها في التأويل تكوّنت مدارس التابعين وهي:

---

(1) الدر المنثور المرجع السابق ج 2 ص 17.

ـ مدرسة المدينة المنورة، ومن أئمّتها الفقهاء السبعة والمعروفون بنشر الحديث والفقه والعلوم الإسلامية بصفة عامة، وحسب مجالاتها وأنواعها المستنبطة في ذلك العصر وهم:

ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي المدني ومما جاء في التعريف به أنه كان ثقة حجة فقيهاً، إماماً، كثير الرواية، سخياً وكان يلقّب براهب قريش لعبادته وفضله، ولد في خلافة عمر ومات ثلاث وتسعين أو أربع أو خمس[1].

ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أو أبو عبد الرحمن المدني، ومما جاء في التعريف به: أن أبا الزناد يقول عنه: (ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم) ويقول عنه ابن عيينة: إنه كان أعلم أهل زمانه، ويقول عنه ابن سعد: (وكان إماماً فقيهاً، ثقة، رفيعاً ورعاً كثير الحديث، مات سنة سبع ومائة، أو قريباً من ذلك[2].

ـ عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله المدني. ومما جاء في التعريف به أنه فقيه عالم، كثير الحديث، صالح لم يدخل في شيء من الفتن. قال ابن شهاب: عروة بحر لا ينزف، وقال هشام: ما تعلمنا جزءاً من ألف جزء من أحاديثه، وهو أحد الفقهاء السبعة. ويذكره ابن العماد فيقول: (الفقيه الحافظ جمع بين العلم والسيادة والعبادة). ولد سنة ثلاث وعشرين وقيل تسع

---

(1) طبقات الحفاظ: للسيوطي ص 24 ط أولى، الناشر مكتبة وهبة سنة 1393 هـ/ 1973 م. والاحكام من أصول الأحكام لابن حزم ج 5 ص 95 ط أولى نشر إدارة الطباعة المنيرية مصر سنة 1347 هـ، وتاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى ج 1 ص 37 ط أولى نشر دار المعرفة، بدون تاريخ. ومع هذه المراجع فله ترجمة في تذكرة الحفاظ، وتهذيب التهذيب، وخلاصة تهذيب الكمال، وشذرات الذهب، وطبقات ابن سعد، والعبر.

(2) طبقات الحفاظ ص 38، والأحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 37 ومع هذه المراجع فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

وعشرين ومات سنة قد اختلف فيها ما بين إحدى وتسعين إلى إحدى ومائة[1].

ـ سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي أبو محمد المدني، ومما جاء في التعريف به أنه كان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوالاً بالحق، فقيه النفس.

وجاء من غير طريق أنه كان أعلم الناس بقضاء الرسول وأبي بكر، وعثمان، كما يوصف بأنه أحد أعلام الدنيا، وسيّد التابعين، إذ كان ـ كما يذكر علي بن المديني ـ لا أحد فيهم أوسع علماً منه، ولد لسنتين مضتا ـ وقيل لأربع ـ من خلافة عمر ومات سنة أربع وتسعين، وقيل: ثلاث[2].

ـ سليمان بن يسار أبو أيوب أو أبو عبد الرحمن أو أبو عبد الله، ومما جاء في التعريف به أنه من فقهاء المدينة وعلمائهم وصلحائهم، قد أخذ من عائشة وأبي هريرة وزيد بن ثابت وابن عباس وآخرين، وكان من أئمّة الاجتهاد، وفي هذا يذكرون أن المستفتي كان يأتي سعيد بن المسيب فيقول له: «عليك بسليمان بن يسار، مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة مائة وقيل أربع ومائة وقيل سبع ومائة عن ثلاث وسبعين سنة[3].

ـ خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري البخاري أبو زيد المدني أحد الفقهاء

---

(1) طبقات الحفاظ ص 23 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه ج 1 ص 37. ومع هذه المراجع فله ترجمة أيضاً في بقية المراجع المذكورة: تذكرة الحفاظ ـ تهذيب التهذيب خلاصة تهذيب الكمال ـ شذرات الذهب ـ طبقات ابن سعد ـ العبر. وكذلك في طبقات الشيرازي. وطبقات القراء لابن الجزري والنجوم الزاهرة.

(2) طبقات الحفاظ ص 17 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 38 ومع هذه المراجع فله ترجمة في تذكرة الحفاظ، وخلاصة تهذيب الكمال ـ وطبقات ابن سعد وطبقات الشيرازي، والنجوم الزاهرة.

(3) طبقات الحفاظ ص 35 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 38 ومع هذه المراجع فله ترجمة في تذكرة الحفاظ وخلاصة تهذيب الكمال وطبقات ابن سعد وطبقات الشيرازي، والنجوم الزاهرة.

السبعة ومما جاء في التعريف به أنه كان من كبار العلماء إلا أنه قليل الحديث، ولهذا لم يذكره الذهبي في الحفاظ، ويلقبه ابن العماد بالمفتي، مات سنة تسع وتسعين أو مائة[1].

ـ عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله المدني أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ومما جاء في التعريف به انه كان فقيهاً علماً، شاعراً حسناً مع إمامته في الفقه والحديث. قال الواقدي: هو ثقة فقيه، كثير العلم والحديث شاعر، ويقول عنه الزهري: «كان عبيد الله من بحور العلم، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز مات سنة أربع وتسعين أو خمس، أو ثمان، أو تسع[2].

فهؤلاء الأئمة الذين اشتهروا بالفقهاء السبعة تخرّجوا من مدرسة صحابة رسول الله ﷺ بالمدينة المنوّرة ومن أشهر شيوخها: عمر بن الخطاب، والإمام علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود.

ـ مدرسة مكّة المكّرمة مهبط الوحي الأول ومن أئمّتها المشهورين:

ـ عكرمة ـ مولى ابن عباس ـ أبو عبد الله المدني، أصله من البربر من أهل المغرب ومما جاء في التعريف به: أنه قال على نفسه: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار. وقال عنه أبو الشعثاء: عكرمة أعلم النـاس وقال قتادة: أعلم التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم

---

(1) طبقات الحفاظ ص 35 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 38 ومع هذه المراجع فله ترجمة في تذكرة الحفاظ، وخلاصة تهذيب الكمال، وشذرات الذهب وطبقات ابن سعد، وطبقات الشيرازي، والعبر والنجوم الزاهرة.

(2) طبقات الحفاظ ص 32 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 38 ومع هذه المراجع فله ترجمة في تذكرة الحفاظ، وتهذيب التهذيب، وخلاصة تهذيب الكمال، وشذرات الذهب، وطبقات ابن سعد، وطبقات الشيرازي، والعبر، والنجوم الزاهرة.

بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي ﷺ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

وقال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضّحاك.

وقال ابن المديني: لم يكن في موالي ابن عباس اغزر من عكرمة، كان من أهل العلم. وقد روى عن مولاه ابن عباس، وأفتى في حياته، وعن عائشة وأبي هريرة.

ويقول عنه الشعبي: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة».

وتوفي سنة خمس ومائة ولما مات هو وكثير عزّة في يوم واحد، قيل: مات أفقه الناس وأشعر الناس[1].

ـ عطاء بن أبي رباح أسلم أبو محمد المكي: ومما جاء في التعريف به انه كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث، أدرك مائتي صحابي.

قدم ابن عمر مكّة فسألوه، فقال: «تسألوني وفيكم ابن أبي رباح؟».

يقول عنه ابن سعد صاحب الطبقات: إنه كان ثقة عالماً كثير الحديث انتهت إليه الفتوى بمكة، ويقول عنه أبو حنيفة «ما لقيت أفضل من عطاء».

وقد أخذ عن عائشة، وأبي هريرة وابن عباس وآخرين، كما أخذ عنه فيمن أخذ أبو حنيفة. وقد توفي على الأصح سنة 114 هـ[2].

---

(1) طبقات الحفاظ ص 37، والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 39 ومع هذه المراجع فله ترجمة في إرشاد الأريب، وتذكرة الحفاظ وتهذيب الأسماء، وتهذيب التهذيب، وخلاصة تهذيب الكمال، وشذرات الذهب وطبقات ابن سعد، وطبقات الشيرازي، وطبقات المفسرين للداودي، والعبر، والمعارف والنجوم الزاهرة، ووفيات الأعيان.

(2) طبقات الحفاظ ص 39 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 وتاريخ الفقه الإسلامي لابن الجزري، وميزان الاعتدال للذهبي، ونكت الهميان.

ـ مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب. ومما جاء في التعريف به انه كان أحد أوعية العلم، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة وقال عنه قتادة: إنه أعلم من بقي بالتفسير.

وقد سمع من ابن عباس وعائشة وآخرين. وتوفي سنة ثلاث ومائة هـ[1].

فهؤلاء الأعلام قد تخرّجوا من مدرسة الصحابة بمكة المكرمة التي كان على رأسها الحبر عبد الله بن عبّاس.

ـ مدرسة الكوفة ومن أعلامها المشهورين:

ـ علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي أبو شبل الكوفي، ومما جاء في التعريف به أنه قال عن نفسه: ما حفظت وأنا شاب أنظر إليه في قرطاس (كناية عن قوة حافظته) قال داود بن أبي هند، قلت للشعبي: أخبرني عن أصحاب عبد الله (يعني ابن مسعود) كأنّي أنظر إليهم، قال: كان علقمة أبطن القوم به[2].

وقال الشعبي: كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالكوفة في أصحاب عبد الله بن مسعود، وهؤلاء: علقمة، وعبيدة، وشريح، ومسروق.

ويقول عنه الذهبي: انه فقيه العراق الإمام أبو شبل النخعي، وقد تفقّه على ابن مسعود، وكان من أنبل أصحابه.

ويقول قابوس بن أبي ظبيان قلت لأبي: لأي شيء كنت تدع الصحابة وتأتي علقمة؟ قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يسألون علقمة ويستفتونه.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 35، والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 95 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

(2) يقال: أنت أبطن بهذا الأمر خبرة، وأطول له عشرة. (كناية عن عمق معرفته له ومدى خبرته به).

ولد في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ومات سنة اثنتين وستين هجرية[1].

ـ مسروق بن الأجدع الهمداني، أبو عائشة الكوفي، ومما جاء في التعريف به أنه أحد الفقهاء الاعلام، وقد أخذ عن عمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب كما أخذ عنه ابراهيم النخعي والشعبي وآخرون، ويروي الذهبي عن الشعبي أنه قال: «ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه» كما يذكر أنه كان أعلم بالفتوى من شريح حتى كان هذا يستشيره على حين كان مسروق لا يحتاج إليه. ويصفه ابن العماد فيقول: «الفقيه العابد صاحب ابن مسعود، وكان يصلّي حتى تورّم قدماه. مات سنة 63 هـ[2].

ـ القاضي شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي، ومما جاء في التعريف به أنه أدرك ولم ير. وولي القضاء لعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، ستين سنة، وقيل أكثر من سبعين سنة إلى أيام الحجاج، فاستعفى وله من العمر مائة وعشرون سنة قال ابن سيرين: قدمت الكوفة وبها أربعة آلاف يطلبون الحديث، وأن شيوخ أهل الكوفة أربعة: عبيدة السلماني، والحارث الأعور، وعلقمة بن قيس، وشريح، وكان أحسنهم.

وكان كما يذكر الذهبي: فقيهاً شاعراً فائقاً، فيه دعابة. ويذكر عنه الشعبي: انه كان أعلم الناس بالقضاء.

وقد أخذ عن عمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، كما أخذ عنه ابراهيم النخعي والشعبي وآخرون.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 12 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 99 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 40 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة ويضاف إليها تاريخ بغداد.

(2) طبقات الحفاظ ص 14 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 93 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 41 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

مات سنة ثمان وسبعين، وقيل سنة ثمانين[1].

ـ سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بن الوالبي أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي، ومما جاء في التعريف به أنه أحد الفقهاء الأعلام، سمع ابن عباس وابن عمر، وطائفة آخرين. وكان يقال له: «جهبذ العلماء» وقد قتله الحجاج لأنه خرج عليه مع عبد الرحمن الأشعث في فتنة وقاتله معه. وفيه يقول ميمون بن مهران: «مات سعيد بن جبير وما على الأرض رجل إلا وهو يحتاج إلى علمه، توفي مقتولاً من الحجاج سنة خمس وتسعين هجرية[2].

ـ الشعبي عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي. ومما جاء في التعريف به أنه ولد لستّ سنين مضت من خلافة عمر على المشهور، وأدرك خمسمائة من الصحابة، وقال على نفسه: «ما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا حدّثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليّ، ولا حدّثني رجل بحديث إلا حفظته.

وقد نعت بأنه علاّمه التابعين، وفيه يروي الذهبي عن مكحول أنه قال: «ما رأيت أعلم من الشعبي» كما يقول أبو حصين: «ما رأيت أحداً قطّ أفقه من الشعبي» ويؤكد هذين الحكمين ما يرويه الذهبي أيضاً من أن ابن عيينة قال: «العلماء ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه» توفي سنة 114 هـ[3].

ـ حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي أبو يحيى الكوفي. ومما جاء في التعريف به أنه من الفقهاء الحفاظ، روى عن أنس بن مالك، وحكيم بن

---

(1) طبقات الحفاظ ص 2، الاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 99 تاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 41 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

(2) طبقات الحفاظ ص 31. والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 100 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 41 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

(3) طبقات الحفاظ ص 32 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 42 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع المذكورة.

حزام، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم.

وعنه روى حمزة بن حبيب الزيات، والأعمش، والثّوري.

قال عنه العجلي: كوفي، تابعي ثقة، مفتي الكوفة، وقال عنه أبو بكر بن عياش كان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع، حبيب، والحكم، وحماد، أصحاب الفتيا. مات سنة تسع عشرة ومائة[1].

* مدرسة البصرة ومن أعلامها:

ـ الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، ومما جاء في التعريف به أنه أدرك خمسمائة من الصحابة، وقد جمع بعض الفقهاء فتياه في سبعة أسفار ضخمة. قال فيه أبو بردة: أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن.

وقال خالد بن رياح الهذلي: سئل مالك بن أنس عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن فقيل له في ذلك، فقال: انه قد سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا.

وقال سليمان التيمي: الحسن شيخ أهل البصرة.

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات في رجب سنة عشر ومائة[2].

ـ جابر بن زيد أبو الشعثاء، الأزدي اليحمدي الجوفي، ومما جاء في التعريف به أن ابن عباس قال فيه: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله.

وقال الزيات: سألت ابن عباس عن شيء فقال: تسألوني وفيكم جابر بن

---

(1) طبقات الحفاظ ص 44 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 42 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

(2) طبقات الحفاظ ص 28 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 97 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

زيد، هو أحد العلماء. مات سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة[1].

ـ محمد بن سيرين الانصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري، مولى أنس بن مالك ومما جاء في التعريف به أن ابن سعد قال فيه: هو ثقة مأمون، عال، رفيع، فقيه، إمام، كثير العلم والورع.

وقال فيه مورق العجلي: ما رأيت أفقه في روعه، ولا أروع في فقهه منه.

وقال فيه ابن عون: لم أر في الدنيا مثل ثلاثة: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز ورجاء بن حيوة بالشام، ولم أر في هؤلاء مثل محمد.

وقال فيه عثمان التيمي: لم يكن بالبصرة أحد أعلم منه بالقضاء.

وقال فيه ابن حبان: ثقة، حافظ، متقن، يعبّر الرؤيا، رأى ثلاثين من الصحابة.

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ومات في شوّال سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم[2].

ـ مدرسة الشام ومن أعلامها:

ـ عبد الرحمن بن غنم الأشعري الشامي، ومما جاء في التعريف به أنه بعثه عمر إلى الشام يفقه الناس، وقيل له صحبة. وينعت بأنه شيخ فلسطين وفقيه الشام.

وقال أبو زرعة الدمشقي: قلت لعبد الرحمن بن ابراهيم رأيت الطبقة التي

---

(1) طبقات الحفاظ ص 28 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 97 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة ويضاف إليها اللباب.

(2) طبقات الحفاظ ص 31 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 97 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة ويضاف إليها الوافي بالوفيات.

أدركت رسول الله ﷺ ولم تره، وأدركت أبا بكر وعمر ومن بعدهما من أهل الشام، من المقدم منهم؟ الصّنابحي، أو ابن غنم؟ قال ابن غنم المقدم عندي.

وقال ابن عبد البرّ: يعرف بصاحب معاذ لملازمته له. وكان أفقه أهل الشام. وقال أبو مسهر الغسّاني «هو رأس التابعين». مات سنة ثمان وسبعين[1].

ـ أبو ادريس الخولانيّ عائذ الله بن عبد الله بن عمرو العوذيّ. ومما جاء في التعريف به أنه من علماء الشام وعبّادهم وقرّائهم، وأحد من جمع بين العلم والعمل وقال عنه مكحول ـ وقد روى عنه ـ : «ما علمت أعلم من أبي ادريس».

وقال الزهري: كان قاص أهل الشام وقاضيهم.

ويذكر عنه سعيد بن عبد العزيز أنه كان عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء. ولد يوم حنين، ومات سنة ثمانين[2].

مكحول الدمشقي أبو عبد الله مسلم الهذلي، ومما جاء في التعريف به أنه أحد الأئمّة الفقهاء وهو عالم أهل الشام الفقيه الحافظ، مولى امرأة من هذيل وقد روى عن أبي أمامة الباهلي، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، وثوبان، وأبي ثعلبة الخشني.

وروى عنه أبو حنيفة، والزهري، وحميد الطويل، وابن اسحاق، وغيرهم.

وفيما يرويه الذهبي، عن أبي وهب، عن مكحول نفسه: أنه أقام بمصر والعراق والمدينة، وحاز ما كان بهذه الأقطار من علم، ثم أتى الشام فغربلها.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 15 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 101 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 43 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

(2) طبقات الحفاظ ص 18 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 101 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 44 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

ويقول الزهري: ان العلماء ثلاثة، وذكر منهم مكحول.

كما يقول أبو حاتم: «ما أعلم بالشام أفقه من مكحول».

ويزيد ابن العماد في قولة أبي حاتم هذا فيقول: «وقال أبو حاتم ما أعلم أفقه من مكحول ولم يكن في زمنه أبصر بالفتيا منه، ولا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ويقول هذا رأيي والرأي يخطىء ويصيب». مات سنة عشر ومائة[1].

ـ مدرسة مصر ومن أعلامها:

ـ يزيد بن أبي حبيب، ومما جاء في التعريف به، أن اسمه سويد الأزدي أبو رجاء المصري، عالمها.

ويقول عنه أبو سعيد بن يونس، إنه كان مفتي مصر. فقد كان ـ كما قيل ـ أحد ثلاثة جعل عمر بن عبد العزيز الفتيا إليهم بمصر.

وقد ذكره ابن حزم على رأس القائمة تحت عنوان: فقهاء مصر بعد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

روى عن سالم ونافع، وعكرمة، وعطاء... وروى عنه: سليمان التيمي وابن لهيعة، والليث.. مات سنة ثمان وعشرين ومائة[2].

ـ أبو أمية عمرو بن الحارث، ومما جاء في التعريف به أن ربيعة كان يقول: لا يزال بذلك المغرب فقه ما دام فيه ذلك القصير يعني عمرو بن الحارث.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 42 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 101. وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 44 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

(2) طبقات الحفاظ ص 52 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 102 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 43 ومع هذه فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

وقد روي عن ابن وهب أنه قال: لو عاش لنا عمرو بن الحارث ما احتجنا معه إلى مالك ولا إلى غيره.

وقد ذكره ابن حزم الثالث في قائمة فقهاء مصر بعد الصحابة. وقال: هو أنصاري[1].

ـ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهميّ أبو الحارث المصري، ومما جاء في التعريف به أن الإمام الشافعي قال: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

ويذكر أن ابن وهب كان يقرأ عليه مسائل الليث، فمرّت به مسألة فقال رجل من الغرباء: أحسن والله الليث كأنّه كان يسمع مالك يجيب فيجيب. فقال ابن وهب للرجل: بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قطّ أفقه من الليث.

فالليث أحد الأعلام روى عن الزهري وعطاء، ونافع وبكير والأشج. . . .

وروى عنه ابنه شعيب، وكاتبه أبو صالح، وابن المبارك، وقتيبة، وخلق آخر منهم عيسى بن حماد زغبة: (جاء في القاموس: زغبة بضم الأول وسكون الغين المعجمة، هو لقب عيسى بن حماد شيخ مسلم).

وقال يحيى بن بكير: ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد، كان فقيه البدن، عربيّ اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن الذاكرة لم أر مثله.

وقال يعقوب بن شيبة، ثقة، وفي حديثه عن الزهري بعض الاضطراب.

---

(1) الاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 102، وطبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي الشافعي ص 78 الطبعة الثانية سنة 1401 هـ/ 1981 م دار الرائد العربي بيروت ـ لبنان.

ولد سنة أربع وتسعين، ومات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة[1].

ـ مدرسة اليمن ومن أعلامها:

ـ طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، ومما جاء في التعريف به: أنه أدرك خمسين صحابياً، قال قيس بن سعد: كان طاوس فينا كابن سيرين في البصرة وقال ابن حبّان: من عباد أهل اليمن وسادات التابعين. وقال عثمان بن سعيد: قلت لابن معين طاوس أحبّ إليك أم سعيد بن جبير؟ فلم يخيّر.

وقال خصيف: أعلمهم بالحلال والحرام طاوس.

مات بمكة حاجاً سنة ستّ ومائة، قبل التروية بيوم[2].

ـ عطاء بن مركيوذ: قال عنه أبو اسحاق الشيرازي في كتابه «طبقات الفقهاء» أنه من أبناء فارس الذين وجّههم كسرى مع سيف بن ذي يزن: وكان أول من جمع القرآن[3].

ـ أبو الأشعث شراحيل الصنعاني، وحنش بن عبد الله الصنعاني: قال عنهما أبو اسحاق الشيرازي أيضاً: أنهما من الأبناء (يعني من أبناء فارس) نزل شراحيل دمشق ومات بها: وانتقل حنش إلى مصر ومات بها[4].

ـ وهب بن منبّه بن كامل اليماني الصنعاني الذّماري ابو عبد الله

---

(1) طبقات الحفاظ ص 95 والاحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 102 وطبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي ص 78 وتاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ص 43 ومع هذه فله ترجمة في المراجع السابقة ويضاف إليها: الجواهر المضيئة، وحلية الأولياء، وصبح الأعشى.

(2) طبقات الحفاظ ص 34، وطبقات الفقهاء ص 73 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

(3) طبقات الفقهاء ص 73.

(4) طبقات الفقهاء ص 74.

الأبناوي، ومما جاء في التعريف به انه كان الغالب عليه القصص.

ولد سنة أربع وثلاثين ومات سنة أربع عشرة ومائة وقيل سنة ستّ عشرة ومائة[1].

ـ مدرسة بغداد ومن أعلامها:

ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني الإمام الشهير صاحب «المسند» ومما جاء في التعريف به أن قتيبة بن سعيد قال: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري ومالك والأوزاعي، والليث بن سعد لكان هو المقدم. فقيل لقتيبة: تضمّ أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

قال أبو ثور: احمد بن حنبل أعلم وأفقه من الثوري.

روى عن ابراهيم بن سعد، واسماعيل بن عليّة، وبهز بن أسد، وبشر بن المفضل وغيرهم.

وروى عنه البخاري ومسلم، وأبو داود، وابراهيم الحربي، وآخرون آخرهم ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوي.

وكان من كبار الحفاظ الأئمة، ومن أحبار هذه الأمة.

قال الإمام الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه.

وقال الحارث بن عباس: قلت لأبي مسهر هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟ قال: لا، إلا شاباً في ناحية المشرق ـ يعني الإمام احمد ـ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهى علم الحديث إلى احمد بن حنبل، وعلي

---

(1) طبقات الفقهاء ص 74 وطبقات الحفاظ ص 41 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

ابن المديني، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكان احمد أفقههم فيه.

وقال هلال بن علاء الرقي: منّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم باحمد بن حنبل ثبت في المحنة ولولا ذلك لكفر الناس، وبالشافعي تفقّه في حديث رسول الله ﷺ وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ وبأبي عبيد القاسم بن سلاّم فسّر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ولولا ذلك لأقحم الناس في الخطأ. مات ـ رحمه الله ـ ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين[1].

ـ أبو ثور ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي الفقيه. ومما جاء في التعريف به أنه أخذ الفقه عن الشافعي، وقال فيه ابن حبّان: هو أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وفضلاً وورعاً وديانة، صنّف وفرّع على السّنن وذبّ عنها.

روى عن ابن عليّة وابن عيينة، وابن مهدي، ووكيع.

وروى عنه أبو داود ومسلم، وابن ماجة، وأبو القاسم البغوي، وأبو حاتم.

قال احمد: أعرفه بالسنّة منذ خمسين سنة وهو عندي في مسلاخ[2] سفيان الثوري. مات في صفر سنة أربعين ومائتين[3].

ـ أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي القاضي أحد الأعلام، ومما جاء في التعريف به أنه روى عن هشيم واسماعيل بن عياش، وابن عيينة، ووكيع. . . . وروى عنه عبّاس الدّوري وخلق.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 186 - 187 وطبقات الفقهاء ص 91 - 92 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة يضاف إليها الرسالة المستطرفة، وطبقات الحنابلة والفهرست لابن النديم. ومرآة الجنان.

(2) المسلاخ: الاهاب أي الجلد.

(3) طبقات الحفاظ ص 223. وطبقات الفقهاء ص 92 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة يضاف إليها طبقات الشافعية للسبكي، وطبقات ابن هداية الله.

وثّقة أبو داود، وابن معين، واحمد، وغير واحد.

وقال ابن راهويه: أبو عبيد أوسعنا علماً، وأكثرنا أدباً، وأكثرنا جمعاً إنّا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا.

ولي قضاء طرطوس، وفسّر غريب الحديث، وصنّف كتباً.

ومات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين[1].

ـ أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني البغدادي، فقيه أهل الظاهر. ومما جاء في التعريف أنه أخذ العلم عن اسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وصنّف التصانيف وكان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه، إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً، كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان.

وكان من المتعصبين للشافعي، وصنّف كتابين في فضائله والثناء عليه، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد وقبره بها في الشونيزية. مات في رمضان سنة سبعين ومائتين[2].

ـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم، الحافظ الفرد، أبو جعفر الطبري وقد جاء في التعريف به، أنه كان أحد الأئمة، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، له «تاريخ الإسلام» و «التفسير»

---

(1) طبقات الحفاظ ص 179 - 180 وطبقات الفقهاء ص 92 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة يضاف إليها إرشاد الأريب، وإنباه الرواة، والبداية والنهاية، وبغية الوعاة، وتاريخ الإسلام للذهبي، والرسالة المستطرفة، والطبقات السنية.

(2) طبقات الحفاظ ص 253 وطبقات الفقهاء ص 92 وله ترجمة في بقية المراجع السابقة يضاف إليها: الأنساب، تاريخ أصبهان، الجواهر المضيئة.

الذي لم يصنّف مثله. قال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه.

وقال الفرغاني: بثّ مذهب الشافعي ببغداد، ثمّ اتّسع علمه وأداه اجتهاده إلى ما اختار في كتبه، وعرض عليه القضاء فأبى.

ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة[1].

ـ مدرسة خراسان ومن أعلامها:

ـ عطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومما جاء في التعريف به أنه أحد الأعلام.

نزل الشام وأرسل (أي الحديث) عن جماعة من الصحابة، وروى عن الزهري وسعيد بن المسيّب ونافع، وخلق.

وروى عنه أبو حنيفة، ومالك، وشعبة، والثوري، وحمّاد بن سلمة، وعدة وثّقه ابن معين وأبو حاتم، والدارقطني.

وقال ابن حبّان: كان رديء الحفظ كثير الوهم. مات سنة خمس وثلاثين ومائة[2].

ـ عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظليّ التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي ومما جاء في التعريف به أنه أحد الأئمة الأعلام، وتفقّه بسفيان ومالك، وكان فقيهاً زاهداً. وروي أنه لما نعي إلى سفيان بن عيينة قال: رحمه الله لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً منتجباً.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 307 وطبقات الفقهاء ص 93، ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة، يضاف إليها طبقات المفسرين للسيوطي، والمقفى، والوافي بالوفيات.

(2) طبقات الحفاظ ص 60 وطبقات الفقهاء ص 93 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في خلاصة تهذيب الكمال، وشذرات الذهب، وطبقات ابن سعد، والعبر.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة أربعة: سفيان الثوري، ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك، مات منصرفاً من الغزو، سنة إحدى وثمانين ومائة[1].

ـ أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه، ومما جاء في التعريف به أنه أحد أئمة المسلمين وعلماء الدّين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق، والورع والزهد.

وسئل عنه احمد بن حنبل فقال: ومن مثل اسحاق، اسحاق يسأل عنه؟.

وقال أيضاً: اسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أحد أفقه من اسحاق.

وقال الدارمي: ساد اسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه.

وقال اسحاق عن نفسه: ما سمعت شيئاً إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً فنسيته، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث في كتابي، وقال: أعرف مكان مائة ألف حديث كأني أنظر إليها، وأحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزوّرة فقيل له: ما معنى المزورة، قال: إذا قرىء منها الحديث في الأحاديث الصحيحة فلّيته منها فلياً.

أملى «السند» و «التفسير» من حفظه، وما كان يحدّث إلا حفظاً.

وقال الذهلي: اجتمع في الرصافة أعلام أصحاب الحديث، منهم احمد وابن معين، وغيرهما فكان صدر المجلس لاسحاق وهو الخطيب. مات ليلة نصف شعبان سنة ثمان و ثلاثين ومائتين[2].

---

(1) طبقات الحفاظ ص 117 وطبقات الفقهاء ص 94 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

(2) طبقات الحفاظ ص 188 - 189 وطبقات الفقهاء ص 94 ومع هذين المرجعين فله ترجمة في بقية المراجع السابقة.

ـ مدرسة القيروان: ومن أعلامها:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافريّ الإفريقيّ الحبليّ، ومما جاء في التعريف به أنه بعثه عمر بن عبد العزيز يفقّه أهل إفريقية في الدّين فانتفعوا به، وبثّ فيها علماً كثيراً، وشهد فتح الاندلس مع موسى بن نصير، ثم سكن القيروان واختطّ بها داراً ومسجداً بناحية باب تونس.

وفي الحديث يروى عن أبي ايوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعقبة بن عامر، وغيرهم.

وروى عنه جماعة، منهم: يزيد بن عمرو، وأبي هانىء الخولاني، وعامر ابن يحيى المعافري.

ونعت بالصلاح والتقوى والاستغراق في حبّ الله. روى اسماعيل بن يزيد الأبلي قال: كنا نأتي عبد الله بن يزيد الإفريقي أبا عبد الرحمن ونتحدّث ونتخاصم وهو معنا وترتفع أصواتنا فنقول له: ما عندك في هذا؟ فيقول: ما سمعت ما قلتم وأني لمشغول عن ذلك بالذي غلب على قلبي من محبّة الله. مات بالقيروان سنة مائة ودفن بباب تونس[1].

ـ أبو مسعود سعد بن مسعود التّجيبيّ، ومما جاء في التعريف به أنه أحد الفقهاء التابعين العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقّهوا أهل القيروان.

سكن القيروان وبثّ فيها علماً كثيراً، وكان رجلاً صالحاً عالماً مشهوراً بالدين والفضل قليل الهيبة للملوك، لا تأخذه في الله لومة لائم.

ومما يدلّ على هذا الخلق الذي اشتهر به، روي أن الريّان بن عبد العزيز

---

(1) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ج 1 ص 184/180 ط 2 الناشر: مكتبة الخانجي بمصر سنة 1388هـ/ 1968 م. ومع هذا المرجع فله ترجمة في التاريخ الكبير للبخاري، والطبقات لابن سعد، والرياض للمالكي، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبّان وتهذيب التهذيب لابن حجر.

ابن مروان بعث إليه رسولاً فوجده في مجلسه في جامع الفسطاط مع أصحابه فقال له: الأمير يقرئك السلام ويقول لك: إن رأيت أن تؤنسنا بنفسك العشيّة فافعل، فقال: اقرأ على الأمير السلام وقل له: ليست لي إليك حاجة نأتيك إليها، فإن تك لك اليّ حاجة فأت إليها.

فأتاه الرسول فأخبره، فقصد إليه الرّيّان فلقيه فسلّم عليه وقال له: يغفر الله لك يا أبا مسعود، أتاك رسولنا فكان من كلامك له ما كان؟ فقال له: أصلح الله الأمير، دعوتني إلى ما يشينني، ودعوتك إلى ما يزينك، فقال له: كيف ذلك؟ قال: ان من رآك ماشياً إليّ مدحك وقال: ذا طالب علم وخير، ومن رآني ماشياً إليك، قال: ذا طالب حطام وعرض فشانني، فقال له الريّان: سلّيت ما كان بقلبي ونوّرته. نوّر الله قلبك وعملك.

وفي حديث روى عن أبي الدّرداء وغيره. وروى عنه عبيد الله بن زحر. مات بالقيروان ودفن بها[1].

ـ أبو الجهم، عبد الرحمن بن رافع التنّوخي، ومما جاء في التعريف به انه كان من فضلاء التابعين، يروي عن عبد الله بن عمرو وجماعة من الصحابة، وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي.

سكن القيروان وهو أول من استقضي بها بعد بنائها، ولاّه موسى بن نصير سنة ثمانين، وكان عدلاً في أحكامه، ثقة في نفسه، وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ ليفقّهوا أهل إفريقية. توفي بالقيروان سنة ثلاث عشرة ومائة[2].

---

(1) معالم الإيمان المرجع السابق ج 1 ص 184 - 187. ومع هذا المرجع فله ترجمة في الطبقات لأبي العرب، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، والرياض للمالكي، والاصابة لابن حجر.

(2) معالم الإيمان ج 1 ص 198 ومع هذا فله ترجمة في مشاهير علماء الأمصار لابن حيان، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم. والتاريخ الكبير للبخاري، والرياض للمالكي، والطبقات لأبي العرب وتهذيب التهذيب لابن حجر، وميزان الاعتدال للذهبي، والخلاصة للخزرجي.

ـ عليّ بن رباح بن قصير اللّخميّ، ومما جاء في التعريف به، انه كان فقيهاً صالحاً، وفاضلاً جليلاً، يروي عن جماعة من الصحابة منهم: عمرو بن العاص، وولده عبد الله بن عمرو، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، وأبو هريرة، وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وروى عنه ولده موسى بن عليّ، وأبو هانىء الخولانيّ، وجماعة يكثر عدّهم.

وكانت له منزلة من عبد العزيز بن مروان، أولاه إفريقية، فقدمها مجاهداً في سبيل الله، وكان عند أهل إفريقية من حديثه ما ليس عند المصريّين.

سكن القيروان واختطّ بها داراً ومسجداً على يمين الخارج من باب نافع قبل أن يخرج، وانتفع به أهل القيروان.

ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك، ومات بإفريقية سنة أربع عشرة ومائة[1].

ثم انتهى فقه مدارس التابعين بمفهومه الواسع الذي انتشر في جميع البلاد التي انتهى إليها عملهم المستمدّ من مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن مدرسة صحابته ـ رضوان الله عنهم ـ من بعده، بمنهجها في الاستنباط والاستنتاج، وبأسلوبها في التأويل، إلى أئمّة المذاهب: مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، واحمد.

وانتشر فقههم بواسطة أصحابهم في الآفاق، وعلى فقههم سار المسلمون في الشرق والغرب على مدى اتساع رقعة الإسلام التي تمسّك أهلها بفقه جمهور أهل السنّة.

---

(1) معالم الإيمان ج 1 ص 199 وله ترجمة في بقية المراجع السابقة يضاف إليها، تهذيب الكمال للمزي، وتاريخ الإسلام للذهبي، والتقريب لابن حجر.

قال ابن حزم: وكل من يدري شيئاً من الأخبار يوقن قطعاً بأنهم (أي التابعين) ملؤوا الأرض من أقصى السند، وأقصى خراسان إلى أرمينية وأذربيجان إلى الموصل، وديار ربيعة، وديار مضر، إلى أقصى الشام، إلى مصر إلى إفريقية، إلى أقصى الأندلس، إلى أقاصي بلاد البربر، إلى الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، إلى العراق، إلى الأهواز، إلى فارس، إلى كرمان، إلى سجستان إلى كابل، إلى السند وأصبهان وطبرستان، وجرجان، والجبال، وأن جميع هذه البلاد فشا فيها الإسلام، وغلب عليها، ولله تعالىٰ الحمد، وأنه لم يكن للمسلمين في جميع ما ذكرنا من البلاد ولا قرية ضخمة إلا كان فيها المفتي والمقرىء وربما أكثر من واحد[1].

وإتماماً لإبراز تجاوب وتناسق هذه المواهب التي تمثل أبعاد التأويل مع بعضها بعضاً أذكر نبذة موجزة تعرف ببعض أعلام كل مذهب من هذه المذاهب.

ـ **مذهب الإمام مالك:**

قد جاء في التعريف بنسبه: أنّه الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحيّ الحميري أبو عبد الله المدني، وجاء في التنويه بشأنه، وفي إبراز إمامته، أنّه شيخ الأئمّة، وإمام دار الهجرة، روى عن نافع، ومحمد بن المذكور، وجعفر الصادق وحميد الطويل. وخلق.

وروى عنه الشافعي، وخلائق جمعهم الخطيب في مجلد.

وقال ابن المديني: له ألف حديث.

وقال عبد الله بن احمد: قلت لأبي من أثبت أصحاب الزهري؟ قال: مالك أثبت في كل شيء.

وقال البخاري: أصحّ الأسانيد، مالك عن نافع عن ابن عمر.

---

(1) الاحكام في أصول الاحكام ج 5 ص 104.

وقال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم.

وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض: «قال الليث بن سعد: لقيت مالكاً في المدينة فقلت له: «أني أراك تمسح العرق من جبيك؟؟ قال عرقت مع أبي حنيفة إنّه لفقيه، يا مصري، ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له: ما أحسن قبول هذا الرجل منك، فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام».

ولد في المدينة المنورة سنة خمس وتسعين هجرية، وأدرك في مستهلّ حياته خيار التابعين بها ورأى بعضهم. وكان في سنّ تسمح له بالأخذ عنهم والتأثر بما كانوا عليه من التقوى والصلاح، وصار في طريق تحصيل العلم والتمكن فيه حتى صار يضرب به المثل في التفوق في العلوم الدينية والافتاء فيها حتى قالوا عنه: «لا يفتى ومالك بالمدينة» كما اشتهر بأنه عالم دار الهجرة.

وقد قضى الإمام مالك طيلة حياته مقيماً بالمدينة المنورة لا يغادرها إلا إذا قصد مكّة المكرمة للحجّ، وقد رأى آثار الصحابة من دور وقصور بها، وعاين قبر النبي ﷺ وشاهد العظام فانطبع في نفسه تقديسها، ولازمه ذلك التقديس إلى أن مات، وكان لذلك أثره في فكره وفقهه وحياته فكان لا يطأ أديمها بدابة قطّ إجلالاً لها، وكان منهج أهل المدينة وعلمهم وعملهم أصلاً من أصول استنباطه لأحكامه[1].

ومن أشهر أصحابه الأئمّة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه في الأقطار الإسلامية:

بالمدينة المنورة هم كثر، في مقدمتهم:

---

(1) طبقات الحفاظ ص 89 - 90. مالك (حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه) لمحمد أبي زهرة ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي الطبعة الثانية سنة 1963 - 1964. أئمة المذاهب الأربعة لمحمد اسماعيل ابراهيم، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي سنة 1978. ومع هذه المراجع فله ترجمة في مراجع أخرى كثيرة من كتب الانساب والتراجم والأعلام والطبقات قديمها وحديثها.

ـ محمد بن ابراهيم بن دينار، ومما جاء في التعريف به أنه درس مع شيخه الإمام مالك على ابن هرمز.

قال الشافعي: ما رأيت في فتيان مالك أفقه من محمد بن دينار. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة، بعد مالك بثلاث سنين[1].

ـ أبو هاشم المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، ومما جاء في التعريف به أنه مات بعد شيخه مالك بسبع سنين[2].

ـ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي حازم: ومما جاء في التعريف به أنه مات بعد شيخه بست سنين، ولقيمته الفقهية قال عنه مالك: إنه لفقيه[3].

ـ عثمان بن عيسى بن كنانة، ومما جاء في التعريف به أن مالكاً كان يحضره لمناظرة أبي يوسف عند الرشيد، وهو الذي جلس في حلقة مالك بعد وفاته. توفي بعد مالك بسنتين، وقيل بثلاث سنين[4].

بمصر هم كثر أيضاً، في مقدمتهم:

ـ عبد الرحيم بن خالد الاسكندراني، ومما جاء في التعريف به إنه كان من أقران ابن أبي حازم، ومن نظرائه، وبه تفقّه ابن القاسم قبل أن يرحل إلى مالك. وكان قد جمع بين العلم والزهد. توفي على ما ذكره القاضي عياض سنة ثلاث وستين ومائة بالاسكندرية[5].

ـ أبو محمد عبد الله بن وهب، ومما جاء في التعريف به أنه تفقّه بمالك، وعبد العزيز بـن أبي حازم، وابن دينار، والمغيرة والليث بن سعد، وصنف

---

(1) (2) (3) (4) طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي ص 146، ولهم ترجمة في كتابي المدارك لعياض والانتقاء لابن عبد البر.

(5) طبقات الفقهاء ص 149-150 وللاسكندراني ترجمة في المـدارك ولابن وهب ترجمـة في العبر للذهبي وفي المدارك لعياض، وفي طبقات الحفاظ للسيوطي ص 126. ومالك لأبي زهرة ص 233.

«الموطأ الكبير» و «الموطأ الصغير». وكان مالك يكتب إليه: إلى أبي محمد المفتي.

وقال مالك: عبد الله بن وهب إمام. وصحب مالكاً عشرين سنة. وكان أسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين.. وقد وصف بأنه أحد الأعلام، وقال عنه ابن عدي: هو من جلّة الناس وثقاتهم. وقد اختلف في تاريخ وفاته والثابت على ما ذهب إليه عياض في المدارك ج2 أنه توفي سنة ستّ وتسعين ومائة[1].

ـ عبد الرحمن بن القاسم العتقي، ومما جاء في التعريف به أنه جمع بين الزهد والعلم، وتفقّه بمالك ونظرائه، وصحب مالكاً عشرين سنة، وعاش بعده اثنتي عشرة سنة، وقد اشتهر بأنه راوية المسائل عن مالك. قال فيه ابن حبان: كان خيّراً فاضلاً، ممن تفقّه على مذهب مالك، وفرّع على أصوله.

ومن هنا فهو في مذهب مالك يعدّ كمحمد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة، والتشابه بين الرجلين كامل، إذ إن كليهما يعدّ راوي مذهب صاحبه وناقله وله مع ذلك اجتهاد حرّ. فكان لابن القاسم آراء يخالف بها شيخه مالك حتى لقد قالوا: إنه قد غلب عليه الرّأي، فقد قال فيه ابن عبد البر: «كان فقيهاً قد غلب عليه الرأي وكان رجلاً صالحاً مقلاً صابراً». ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومات بمصر سنة إحدى وتسعين ومائة[2].

ـ أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري، ومما جاء في التعريف به أنه أخذ عن الليث، ويحيى بن أيوب، وابن لهيعة، وصحب مالكاً ولازمه،

---

(1) راجع الصفحة السابقة رقم (5).

(2) طبقات الحفاظ ص 148. وطبقات الفقهاء ص 150. ومالك لأبي زهرة ص 234-235 ومع هذه فله ترجمة في تذكرة الحفاظ، وتهذيب التهذيب، وحسن المحاضرة، وخلاصة تذهيب الكمال والديباج المذهب، وشذرات الذهب، والعبر، واللباب، ووفيات الأعيان.

وتفقّه عليه، وكان أحد رواة فقهه، وله مدونة تسمى مدونة أسهب ـ أو كتب أشهب وكان نظيراً لابن القاسم، ولكنه كان أصغر منه.

وقيل لسحنون تلميذهما: أيهما أفقه؟ فقال: كانا كفرسي رهان، ربما وفق هذا، وخذل هذا، وربّما خذل هذا، ووفق هذا.

وكانت المنافسة بينهما وانتهت الرياسة إلى أشهب بمصر بعد ابن القاسم، ولقد التقى به الشافعي وقال فيه: ما رأيت أفقه من أشهب، ولقد كانت بينه وبين الشافعي صحبة. ولد سنة أربعين ومائة، وقيل خمسين ومائة، وتوفي سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بأيام[1].

بالقيروان وتونس: كذلك هم كثر ومن أشهرهم:

ـ عبد الله بن عمر بن غانم القاضي، ومما جاء في التعريف به أنه سمع من مالك وهو من أقران ابن أبي حازم ونظرائه، ولاه الرشيد قضاء إفريقية. توفي بمدينة القيروان، وعاش بعد مالك نحواً من سنتين[2].

ـ علي بن زياد التونسي، ومما جاء في التعريف به أنه سمع من مالك «الموطأ» وتفقّه عليه، وله كتب على مذهب مالك منها كتاب يسمى «خير من زنته» وقد علّق الدكتور احسان عبّاس على هذا فقال: وفي المدارك؟ قال سحنون: كتاب «خير من زنته» أصله لابن أشرس. عاش علي بن زياد بعد مالك نحواً من خمس سنين[3].

ـ أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، ومما جاء في التعريف به أنه سمع من علي بن زياد، ثم ارتحل إلى المشرق.

---

(1) طبقات الفقهاء 150، ومالك لأبي زهرة ص 235 - 236.
(2) طبقات الفقهاء ص 151.
(3) طبقات الفقهاء ص 152.

وروي عن سليمان بن سالم[1] أنه قال: أخبرني غير واحد من شيوخي أن أسداً خرج إلى المشرق في سنة اثنتين وسبعين ومائة فقصد مالك بن أنس فلما فرغ من سماعه منه قال له: «زدني يا أبا عبد الله» وكأنه استقلّ «الموطأ» فقال له مالك: «حسبك ما للناس».

وعن أسد قال: دخلت أنا وحارث بن أسد القفصي، وغالب بن مهدي على مالك بن أنس لأودّعه فتقدم إليه صاحباي فقالا له: «أوصنا يرحمك الله» فأوصاهما، ثم قال لي: «أوصيك بتقوى الله تعالىٰ والقرآن والنصيحة لهذه الأمّة» فلما خرجنا من عنده قال لي صاحباي: زادك والله علينا يا أبا عبد الله.

وبعد أن سمع من مالك موطأه وغيره، ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن، وذكر القاضي عياض أن أبا يوسف أخذ عنه موطأ مالك.

وبهذا فقد جمع أسد بن الفرات بين فقه العراق، وفقه المدينة، وقرأ ما جمعه محمد بن الحسن، كما قرأ موطأ مالك، وجمع مسائله منه ومن أصحابه من بعده. وأكثر من أخذ عنه من أصحاب مالك من بعده ابن القاسم. لقد كانت قراءته لكتب الإمام محمد وما فيها من الفروض والمسائل وحلولها، حافزاً لأن يبحث عن مثل هذه الحلول على وفق مذهب الإمام مالك ليجتمع بين يديه حكم المذهب في تلك المسائل، ولم يتوافر له ذلك في حياة مالك، فالتجأ إلى أصحابه الذين لازموه، التجأ أولاً إلى ابن وهب. وقال له: هذه كتب أبي

---

(1) أبو الربيع: سليمان بن سالم الكندي القطان الفقيه، القاضي يعرف بابن كحالة صاحب سحنون ـ رحمه الله ـ كان من أهل الفقه البارع، كثير الرواية، حسن الأخلاق، باراً بمن يأتي إليه للسّماع عليه، ذا أدب وتقشّف وعقل ونزاهة. ولاّه ابن طالب قضاء باجة وأعمالها، وولاّه عيسى بن مسكين مظالم القيروان واذن له ان ينظر في مائة دينار، ثم ولاّه ابن مسكين قضاء صقلية، فنشر فيها علماً كثيراً سنة احدى وثمانين ومائتين. وله تأليف في الفقه يعرف بالسّليمانيّة ـ مضاف اليه. مات بصقلية سنة تسع وثمانين ومائتين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن «معالم الإيمان» ج 2 ص 206 - 207.

حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فتورع ابن وهب وأبى، فالتجأ إلى ابن القاسم، فأجابه إلى ما طلب.

فأجاب فيما حفظ عن مالك، بقول مالك، وفيما شكّ في حفظه قال: أخال وأحسب وأظنّ ومنها ما كان يقول فيه بالقياس على رأي له في مثله. فكان يقول: «سمعته يقول في مسألة كذا، كذا، ومسألتك مثله، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك وجمع تلك الأجوبة في كتب وسماها «الأسدية».

والأسدية هذه هي الأصل لمدونة سحنون.

قال أبو اسحاق الشيرازي: ثم رجع أسد إلى القيروان وحصلت له رياسة العلم بتلك الكتب. ثم ارتحل سحنون بالأسدية إلى ابن القاسم فعرضها عليه فقال له ابن القاسم: فيها شيء لابدّ من تغييره، وأجاب عما كان شك فيه، واستدرك منها أشياء، وكتب إلى أسد أن عارض كتبك بكتب سحنون، فلم يفعل أسد ذلك، فبلغ ابن القاسم فقال: اللهمّ لا تبارك في الأسدية، فهي مرفوضة عندهم إلى اليوم.

وقد توفي في حصار سرقوسة من جزيرة صقلية وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ثلاث عشرة ومائتين وكانت ولادته سنة خمس وأربعين ومائة. وفي صقليّة قبره ومسجده[1].

ـ أبو سعيد: سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ـ رحمه الله ـ واسمه عبد السلام وغلب عليه لقب سحنون.

قال عياض في المدارك: سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يذكر عن بعض شيوخ إفريقية أنه سمّي سحنوناً باسم طائر حديد النظر. لحدّته في النظر.

---

(1) طبقات الفقهاء ص 155 - 156 . معالم الإيمان ج 2 ص 3 - 25. مالك لأبي زهرة ص 236 - 237.

ومما جاء في التعريف به أنه سمع بإفريقية من علي بن زياد، والعباس بن أشرس، وبهلول بن راشد وعبد الله بن غانم، ومعاوية الصّمادحي.

ثم ارتحل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة، فسمع بمصر: من ابن القاسم، وابن وهب وأشهب وابن عبد الحكم، وشعيب بن الليث، ويوسف بن عمر.

وسمع بالمدينة من عبد الله بن عبد الله بن نافع، ومعن بن عيسى، وأنس بن عياض، وابن الماجشون، والمغيرة بن عبد الرحمن، ومطرّف، وغيرهم.

وسمع بالشام، من الوليد بن مسلم، وأيوب بن سويد.

وسمع بمكّة من سفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح وحفص بن غياث، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سليمان، وأبي داود الطّيالسي وأبي اسحاق الأزرق.

فدائرة شيوخ الإمام سحنون الذين سمع منهم وتفقّه عنهم، واسعة من تونس إلى مصر وإلى المدينة ومكّة، وإلى الشّام.

وهذا يدلّ على مدى حبّه للعلم، ومدى طلبه له، ومدى تعلّقه بالتّفقه والمعرفة وذلك ما جعله أهلاً للإمامة ولملء كرسي الرئاسة في العلم بالقيروان كعبة إفريقية وقتها، وعاصمة العلم بها.

كما جاء في التعريف به أنه حجّ مع ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب في مرة واحدة ـ وكان زميل ابن وهب على راحلته ـ ثم قدم الى القيروان سنة إحدى وتسعين ومائة، فأظهر علم أهل المدينة بالمغرب.

قال أبو زيد: عبد الرحمن بن محمد الدّباغ: كان سحنون قد اجتمعت فيه خصال قلّما اجتمعت في غيره منها: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة

في الحقّ والزهد في الدنيا، والتخشّن في الملبس والمطعم، والسّماحة، ولا يقبل من أحد شيئاً، سلطاناً كان أو غيره ولا يهاب سلطاناً في حقّ يقوله، سالم الصدر للمؤمنين، شديداً على أهل البدع انتشرت إمامته وأجمع أهل عصره على تقدمه وفضله.

سئل أشهب: «من قدم إليكم من المغرب؟» قال «سحنون» قيل له: «فأسد؟» قال: «سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة».

وقال أشهب أيضاً: «ما قدم إلينا من المغرب مثله».

وقال عيسى بن مسكين: «سحنون راهب هذه الأمة، ولم يكن بين مالك وسحنون أفقه من سحنون».

وقال أبو عثمان سعيد بن الحداد: «سألت المتكلمين فما رأيت فيهم أصحّ غريزة من سحنون ـ وكان وقوراً مهاباً».

وصنّف «المدوّنة» وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك.

وقد ولي القضاء سنة أربع وثلاثين ومائتين، وأقام قاضياً ستة أعوام لم يأخذ على ذلك أجراً ومات سنة أربعين ومائتين في رجب[1].

ـ أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، الشهير بالإمام.

ومما جاء في التعريف به أن أصله من مازر بفتح الزاي وكسرها مدينة بصقلية ونزل المهدية، فكان إماماً لبلاد إفريقية وما وراءها وهو آخر من اشتغل فيها بتحقيق العلم ورتبة الاجتهاد، ودقّة النظر، أخذ عن اللخمي، وعبد الحميد السوسي، المعروف بابن الصائغ، وغيرهما.

---

(1) طبقات الفقهاء ص 156 - 157 معالم الإيمان ج 2ص 77 - 104 مالك لابن زهرة ص 239.

ومرض يوماً فلم يجد من يداويه سوى طبيب يهودي، فأخذته الحمية واشتغل به، فكان يفزع إليه في الطبّ كما يفزع إليه في الفتيا.

شرح صحيح مسلم، والبرهان لإمام الحرمين، والتلقين لعبد الوهاب، في الفقه وله كتاب «إيضاح الفصول في برهان الأصول» أخذ عنه عياض بالإجازة وغيره، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه ولا أقوم لمذهبه منه. وله مشاركة في علوم كثيرة كالحساب والأدب، فكان أحد رجال الكمال إلى حسن الخلق، وأنس المجلس، وكان قلمه أبلغ من لسانه، وأناف سنّه على الثمانين، وتوفي سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد خليل ترجيحهم، بل وأقوالهم، ومع إدراكه رتبة الاجتهاد، فلم يكن يفتي الناس إلا بالمشهور ـ رحمه الله ـ[1].

ـ بالأندلس: هم كثر أيضاً، ومن أشهرهم:

يحيى بن يحيى بن كثير الليثي، مولاهم البربري المصمودي، من مصمودة طنجة الأندلسي القرطبي الفقيه أبو محمد. ومما جاء في التعريف به أنه أحد الأعلام راوي (الموطأ) عن مالك غير أبواب من الاعتكاف شكّ فيها. ورواها عن «شبطون» زياد بن عبد الرحمن الذي يسميه أهل المدينة «فقيه الأندلس». رحل يحيى إلى مالك وهو صغير وسمع منه، وتفقه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك.

وكان مالك يعجبه سمته وعقله. روي أنه كان يوماً عند مالك في جملة أصحابه إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك لينظروا إليه، غيره فقال له مالك: مالك لم تخرج فترى الفيل؟ لأنه لا يكون بالأندلس، فقال له

---

(1) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ج 2 ص 221 طبع على نفقة «المكتبة العلمية» لصاحبها الشيخ محمد سلطان النمثكاني المدينة المنورة سنة 1397هـ/ 1977م.

يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجيء لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك وسمّاه عاقل أهل الأندلس.

قال ابن عبد البر: كان إمام أهل بلده ثقة عاقلاً، وقال غيره: انتهت إليه رئاسة العلم بالأندلس.

وبسببه دخل المذهب المالكي إليها، إذ كان في زمن بني أميّة الذين يريدون تغيير رسوم بني العباس التي منها مذهب أهل العراق. فكان يحيى مستشارهم في تعيين القضاة، ولا يشير عليهم إلا بمن كان مالكياً فانتشر المذهب بذلك. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين[1].

ـ أبو عمر يوسف بن عمر بن عبد البرّ النّمري، ومما جاء في التعريف به أنه شيخ علماء الأندلس، وكبير محدّثيها في وقته، وأحفظ من كان فيها للسنّة، وفاق فيها من تقدّمه، وعظم شأنه بها.

تفقّه على ابن المكوي، وابن الفرضي وغيرهما، وأخذ عنه عالم كثير، كأبي عبد الله الحميدي وأبي علي الغساني، وغيرهما.

قال الباجي: إنه أحفظ أهل المغرب، لم يكن بالأندلس مثله، له كتاب «التمهيد» على الموطأ لم يتقدمه أحد بمثله.

قال ابن حازم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه، وهو مرتب على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم... وله كتاب «الاستيعاب» وكتاب «الكافي في الفقه المالكي» وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» وله كتب كثيرة في فنون عدّة، كان موفقاً في التأليف معاناً عليه، وكان مستقلّ الفكر، بعيداً عن الجمود، مبغضاً للتقليد، ناصراً للسنّة.

وانتهى إليه مع إمامته علو الإسناد، وولي قضاء لشبونة مدّة، وكان أولاً

(1) طبقات الفقهاء ص 152 - 153. الفكر السامي ج 2 ص 96 - 97.

ظاهرياً ثم صار مالكياً، فقيهاً حافظاً مكثراً، عالماً بالقراءات والحديث والرجال، والخلاف، كثير الميل إلى أقوال الشافعي.

ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر، ومات ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة[1].

ـ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ومما جاء في التعريف به أنه زعيم الفقهاء بالأندلس والمغرب، المعروف بصحة النظر، ودقّة الفقه، وجودة التأليف، مطبوعاً عليه، حافظ المذهب، له المفزع في المعضلات، وكان الدراية أغلب عليه من الرواية مع أخذه منها بالحظ الأوفر، له كتاب «البيان والتحصيل، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل» من كتب المالكية الجليلة القدر المعتمد عند كل من جاء بعده.

قال في أوّله: ومن جمعه إلى كتابي «المقدمات» حصل على ما يمنع جهله من أصول الديانات، وأحكم ردّ الفرع إلى أصله، وحصل على درجة من يجب تقليده الخ. واختصر «المبسوطة» ولخّص كتاب «مشكل الآثار» للطحاوي، وله أجزاء كثيرة في فنون مختلفة.

تولّى قضاء قرطبة، ثم استعفى، وأكبّ على التأليف، وكانت الرحلة إليه من الأقطار، أخذ عنه القاضي عياض وغيره. وهو أحد الأربعة المعتمد ترجيحهم في مختصر خليل. توفي سنة عشرين وخمسمائة[2].

ـ أبو بكر محمد بن عبد الله الشهير «بابن العربي» المعافري الاشبيلي، ومما جاء في التعريف به، أنه رحل مع أبيه إلى المشرق وهو ابن سبع عشرة سنة بعدما تأدب وقرأ القراءات، فلقي بمصر والشّام وبغداد والحجاز أعلاماً كباراً

(1) طبقات الحفاظ ص 432 والفكر السامي ج 2 ص 213 - 214. وله ترجمة في شذرات الذهب والديباج المذهب.

(2) الفكر السامي ج 2 ص 219 وله ترجمة في قضاء الأندلس، والصلة والديباج.

كالغزالي، والطرطوشي، والصيرفي والأكفاني والشاشي وغيرهم.

وقد تخرج بأبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي، وأبي زكريا التبريزي. فاتسم في رواية الحديث والفقه، والخلافيات، والأصول، والأدب، والشعر وجمع، وصنّف، وبعد صيته، وكان متبحراً في العلم، ثاقب الذهن، موطأ الأكتاف كريم الشمائل.

ولي قضاء إشبيلية فكان ذا شدّة وسطوة، ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم، وبلغ رتبة الاجتهاد.

صنّف في الحديث والفقه، والأصول، وعلوم القرآن، والأدب والنحو والتاريخ، مات بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[1].

ـ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي، ومما جاء في التعريف به أنه كان مقدّم وقته في الحديث والتفسير، والأدب والشعر والأصول والفقه، والعلوم العربية. بعد صيته، وكان إمام أهل الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه.

وله تصانيف حسنة شهيرة كـ«الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» و«طبقات المالكيّة» و«شرح مسلم» وغيرها من التصانيف التي سارت بها الركبان ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم بالأندلس أبو علي الصدفي، وابن رشد، وابن العربي وغيرهم.

تولّى قضاء قرطبة وحمدت سيرته فيها مات ليلة الجمعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش[2].

---

(1) طبقات الحفاظ ص 467. الفكر السامي ج 2ص 221 - 223. وله ترجمة في: البداية والنهاية، وبغية الملتمس، وتذكرة الحفاظ، والديباج المذهب، وشذرات الذهب والصلة، وطبقات المفسرين للأدنه وي، وطبقات المفسرين للداودي، وطبقات المفسرين للسيوطي، ومرآة الجنان، ونفح الطيب، ووفيات الأعيان.

(2) طبقات الحفاظ ص 468، الفكر السامي ج 2 ص 223 - 224، وله ترجمة في انباء الرواة، والبداية =

مذهب الإمام الشافعي:

قد جاء في التعريف بالإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع، بن السائب، بن عبيد، بن عبد يزيد، بن هاشم بن عبد المطلب، ابن مناف، بن قصيّ، القرشي، المطلبي الشافعي الحجازي المكي، ابن عمّ رسول الله ﷺ يلتقي معه في عبد مناف... نزيل مصر إمام الأئمّة، وقدوة الأمّة، ولد بغزّة سنة خمسين ومائة... ثم حمل إلى مكّة وهو ابن سنتين.

أخذ الإمام الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي، وغيره من أئمّة مكّة، ثم رحل إلى المدينة المنوّرة فتتلمذ على أبي عبد الله، مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ فأكرمه مالك وعامله، لنسبه وعلمه وفهمه، وعقله وأدبه، بما هو اللائق بهما.

وقرأ «الموطأ» على مالك حفظاً، فأعجبته قراءته، فكان مالك يستزيده من القراءة لإعجابه بقراءته، وكان سنّ الشافعي حين اتّصل بمالك ثلاث عشرة سنة. وبعد أن تخرّج وأصبح إماماً قدم إلى مصر قال حرملة بن يحيى: قدم الشافعي مصر سنة تسع وتسعين ومائة. وقال الربيع: سنة مائتين. فصنّف كتبه الجديدة كلّها بمصر، وسار ذكره في البلدان وقصده الناس من الشّام واليمن والعراق، وسائر الأقطار للتّفقه عليه والرواية عنه، وسماع كتبه منه وأخذها عنه.

وله مؤلفات كثيرة منها «الأم» و «الرسالة».

ما جاء في شهادات الأئمّة للشافعي:

قال مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ للشافعي: إن الله عزّ وجلّ قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بالمعصية.

= والنهاية، وبغية الملتمس، وتاج العروس، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتذكرة الحفاظ، وتهذيب الأسماء واللغات، والديباج المذهب، والرسالة المستطرفة، ومفتاح السعادة، والنجوم الزاهرة.

وقال شيخه سفيان بن عيينة ، وقد قرأ عليه حديثاً في الرقائق ـ فغشي على الشافعي، فقيل: قد مات الشافعي، فقال سفيان: إن كان قد مات فقد مات أفضل أهل زمانه.

وقال الحميدي صاحب سفيان: كان سفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد، وسعيد بن سالم، وعبد الحميد بن عبد العزيز، وشيوخ مكّة يصفون الشافعي ويعرفونه من صغره، مقدّماً عندهم بالذكاء والعقل والصيانة، ويقولون لم نعرف له صبوة.

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي المقدم في عصره في علمي الحديث والفقه، حين جاءته رسالة الشافعي ـ وكان طلب من الشافعي أن يصنّف كتاب الرسالة ـ فأثنى عليه ثناء جميلاً، وأعجب بالرسالة إعجاباً كبيراً وقال: ما أصلّي صلاة إلا أدعو للشافعي.

وقال أحمد بن حنبل ـ وقد سئل عن الشافعي ـ : لقد منّ الله به علينا، لقد كنّا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا الشافعي، فلما سمعنا كلامه علمنا أنه أعلم من غيره، وقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلّا كلّ خير.

وقال أيضاً: ما تكلّم في العلم أقلّ خطأ ولا أشدّ أخذاً بسنّة النّبيّ ﷺ ـ من الشافعي.

وقال: إذا جاءت المسألة ليس فيها أثر فافت بقول الشافعي.

وقال: ما من أحد مسّ بيده محبرة وقلماً إلا وللشافعي في عنقه منه، وقال احمد لاسحاق بن راهويه: تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله ـ يعني الشافعي ـ رضي الله عنه.

وقال أحمد أيضاً: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشّافعي.

وقال داود بن علي الظاهري: كان الشافعي ـ رضي الله عنه ـ سراجاً لحملة الآثار ونقلة الأخبار، ومن تعلّق بشيء من بيانه صار محجاجاً.

وقال الإمام احمد: إن الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلّمهم السّنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرها فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي. وفاته: قال الربيع بن سليمان: توفي الشافعي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ليلة الجمعة بعد المغرب، وأنا عنده ودفن بعد العصر يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين[1].

ومن أشهر أصحابه الأئمّة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه:

ـ أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق المزني. ومما جاء في التعريف به أنه كان زاهداً عالماً مجتهداً، مناظراً، محجاجاً، غوّاصاً على المعاني الدقيقة.

وله تآليف عديدة منها «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«مختصر المختصر» و«المنثور» و«المسائل المعبرة» و«الترغيب في العلم» و«كتب الوثائق». قال عنه الإمام الشافعي: المزني ناصر مذهبي. مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين[2].

ـ أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبّار المؤذن المرادي. ومما جاء في التعريف به أنه صاحب الإمام الشافعي، وروى كتب الأمهات عنه. قال الإمام الشافعي عنه: الربيع راويتي. مولده سنة أربع وسبعين ومائة ومات يوم

---

(1) طبقات الحفاظ ص 152 - 154. وكتاب «احكام القرآن» للإمام الشافعي ج 1 ص 3 - 11 طبع ونشر دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان سنة 1395 هـ/ 1975م. ومع هذين المرجعين فله ترجمة في مراجع اخرى كثيرة من كتب الانساب والتراجم والأعلام والطبقات قديمها وحديثها.

(2) طبقات الفقهاء ص 97 وطبقات الحفاظ ص 564 وله ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي وفي وفيات الأعيان لابن خلكان والانتقاء لابن عبد البر.

الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين[1].

ـ أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي. ومما جاء في التعريف به أن الإمام الشافعي قال عنه: ليس أحد أحقّ بمجلسي من يوسف بن يحيى، وليس أحد من أصحابي أعلم منه. وروي عنه أنه قال أيضاً: أبو يعقوب لساني.

قال الساجي (أبو يحيى زكريا بن يحيى) ـ متحدثاً عن تقاه ومدى طاعته لله وامتثالاً لأمره ـ: كان أبو يعقوب إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجّان: أين تريد؟ فيقول: حيث داعي الله؟ فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.

وقال أبو الوليد بـن أبي الجارود: كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلّي.

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي أبداً يحرّك شفتيه بذكر الله تعالىٰ. وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالىٰ من أبي يعقوب البويطي.

وقد كان البويطي صاحب إرادة قويّة ذا صبر وجلد، مات ببغداد في السجن والقيد في رجله، وكان حمل من مصر في فتنة القرآن فأبى أن يقول بخلقه فسجن وقيّد حتى مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين[2]

ـ أبو ثور ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي. ومما جاء في التعريف به أنه أخذ الفقه عن الشافعي وقال عنه الإمام احمد: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة وهو عندي في مسلاخ سفيان الثوري.

وقال عن نفسه: كنت من أصحاب محمد بن الحسن. فلما قدم الشافعي

---

(1) طبقات الفقهاء ص 98 وطبقات الحفاظ ص 252 - 253 وله ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي، والفهرست لابن النديم، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

(2) طبقات الفقهاء ص 98 وله ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي.

علينا جئت إلى مجلسه شبه المستهزىء فسألته عن مسألة من الدّور[1] فلم يجبني وقال: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فقلت: هكذا، فقال: أخطأت، فقلت هكذا، قال: أخطأت. قلت: فكيف اصنع؟ فقال: حدثني سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع، وإذا رفع، قال أبو ثور: فوقع في نفسي ذلك فجعلت أزيد في المجيء وأقصّر في الاختلاف إلى محمد بن الحسن، فقال محمد لي يوماً: يا أبا ثور أحسب هذا الحجازي قد غلبنا عليك، قلت: أجل، الحقّ معه. قال: فكيف ذاك؟ قلت: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فأجابني على نحو ما أجبت الشافعي، فقلت: أخطأت. قال: كيف اصنع؟ قلت: حدّثني الشافعي عن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبيّ ﷺ، كان يرفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع وإذا رفع، قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر وعلم الشّافعي أنّي قد لزمته للتعلّم منه قال: يا أبا ثور خذ مسألتك في الدّور، فإنما منعني أن أجيبك يومئذ لأنك كنت متعنّتاً. مات أبو ثور سنة أربعين ومائتين[2].

ـ مذهب الإمام أبو حنيفة:

قد جاء في التعريف بالإمام أنه أبو حنيفة النّعمان بن ثابت التّيميّ الكوفي والمشهور الذي يجمع عليه الثقات أنه فارسي. وروي كما جاء في تاريخ بغداد للخطيب أنه بابلي، ومن ناحية ثانية في التعريف به أنه فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرّأي.

---

(1) جاء في تحقيق وتقديم الدكتور احسان عباس لكتاب طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي الطبعة الثانية سنة 1401 هـ/ 1981م ص 101 تعليق عدد 5 ما يلي: الدور عند الحكماء والمتكلمين والصوفية: توقف كل من الشيئين على الآخر، فالدور العلمي هو توقف العلم بكون كل المعلومين على العلم بالآخر. والدور الإضافي: تلازم الشيئين في الوجود بحيث لا يكون احدهما إلا مع الآخر (انظر كشاف التهانوي 467:1 وما بعدها).

(2) طبقات الفقهاء ص 92 -101 -102 وطبقات الحفاظ ص 223 وله ترجمة في كتب التراجم والطبقات والأعلام.

قال عنه ابن معين: كان ثقة لا يحدّث من الحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدّث بما لا يحفظه.

وقال ابن المبارك: ما رأيت في الفقه مثله.

وقال مكي بن ابراهيم: كان أعلم أهل زمانه، وما رأيت في الكوفيين أورع منه.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وسئل يزيد بن هارون: أيهما أفقه، أبو حنيفة أو سفيان؟.

فقال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه.

ومن مناقبه أنه أكره على القضاء فأبى أن يكون قاضياً، وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرّعاً.

ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة، وقيل سنة إحدى وخمسين وقيل سنة[1] ومن أشهر أصحابه الأئمّة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه.

ـ أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري الكوفي، ومما جاء في التعريف به أنه أبو يوسف القاضي: الإمام العلاّمة فقيه العراقين، وصاحب أبي حنيفة، كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي، وأخذ الفقه من محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة، وولي القضاء لهارون الرشيد.

قال عنه المزني: أبو يوسف اتبع القوم للحديث.

وقال ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أحد أكثر حديثاً ولا أثبت منه وعنه أيضاً: أبو يوسف صاحب حديث، وصاحب سنّة.

---

(1) طبقات الحفاظ ص 73 - 74 وكتاب «أبو حنيفة» حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة طبع ونشر دار الفكر العربي ط 2 سنة 1366 هـ/ 1947م. وله ترجمة في مراجع كثيرة من كتب التراجم والطبقات والأعلام قديمها وحديثها.

وقال أبو يوسف: من طلب غرائب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

وقال عنه الإمام احمد: كان أبو يوسف منصفاً في الحديث. مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة[1].

ـ أبو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري: ومما جاء في التعريف به أنه قد جمع بين العلم والعبادة، وكان من أصحاب الحديث، ثم غلب عليه الرأي، وهو قياس أصحاب أبي حنيفة، وكان هو وأبو يوسف ومحمد بن الحسن مستقلين في تفكيرهم الفقهي كل الاستقلال، وما كانوا مقلدين لشيخهم بأي نحو من نواحي التقليد. ولد أبو الهذيل زفر سنة عشر ومائة، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة وله ثمان وأربعون سنة[2].

ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني: مولى لبني شيبان، ومما جاء في التعريف به أنه حضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقّه على أبي يوسف وصنّف الكتب الكثيرة، ونشر علم أبي حنيفة، وقد اتصل بمالك، وروى عنه «الموطأ» وروايته له تعدّ من أصحّ الروايات إسناداً.

قال عنه الإمام الشافعي: حملت من علم محمد وقر بعير. وقال أيضاً: ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبيّنت في وجهه الكراهة إلا محمد بن الحسن. مات بالري سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة[3].

---

(1) طبقات الحفاظ ص 121 - 122. و(أبو حنيفة لأبي زهرة) ص 44 ' 442. وطبقات الفقهاء ص 134 وله ترجمة في كتب التراجم والطبقات والأعلام.

(2) طبقات الفقهاء ص 135. و(أبو حنيفة) ص 440 - 442. وله ترجمة في (الجواهر المضيئة) لابن أبي الوفاء. والفهرست، والعبر للذهبي.

(3) طبقات الفقهاء ص 135 - 136 و«أبو حنيفة لأبي زهرة» ص 440 - 442. وله ترجمة في الجواهر المضيئة، والفهرست، ووفيات الأعيان، والعبر للذهبي.

ـ مذهب الإمام احمد بن حنبل:

قد تقدم التعريف به في صحيفة 169 و 170.

ومن أشهر أصحابه الأئمّة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه: .

ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن البغدادي ومما جاء في التعريف به أنه أخذ عن أبيه وروى عنه الحديث.

قال أبو زرعة قال لي احمد بن حنبل: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ.

وقال ابن عديّ: قبل بأبيه، وله في نفس محل في العلم، فأحيا علم أبيه، ولم يكتب عن أحد إلّا عمّن أمره أبوه أن يكتب عنه.

وقال الخطيب عنه: كان ثقة ثبتاً فهماً.

وقال أبو اسحاق الشيرازي: كان عالماً بعلل الحديث وأسماء الرجال. ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، ومات ببغداد سنة تسعين ومائتين[1].

ـ أبو بكر المروزي (احمد بن محمد بن الحجاج). ومما جاء في التعريف به أنه خرج إلى الغزو فشيعه الناس فحزروا بسامرّا ـ سوى من رجع ـ نحو من خمسين ألفاً، فقيل له: يا أبا بكر هذا علم قد نشر لك فبكى ثم قال: ليس هذا العلم لي، إنما هذا هو علم احمد بن حنبل.

وكان يقول: قليل التقوى يهزم كثير الجيوش. مات سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن قريباً من قبر احمد[2].

ـ أبو اسحاق ابراهيم الحربي، ومما جاء في التعريف به أنه إمام في

---

(1) طبقات الفقهاء ص 169 - 170، وطبقات الحفاظ ص 288 - 289، وله ترجمة في تاريخ بغداد، وتذكرة الحفاظ، وخلاصة تذهيب الكمال، وشذرات الذهب، وطبقات الحنابلة، والعبر.

(2) طبقات الفقهاء ص 170 وله ترجمة في طبقات الحنابلة. والعبر للذهبي.

الحديث وله مصنّفات كثيرة. مات سنة خمس وثمانين ومائتين[1].

- أبو بكر احمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي، ومما جاء في التعريف به أنه أخذ العلم من المروزي، وصالح وعبد الله ابني الإمام احمد، ونعت بأنه الفقيه العلاّمة المحدث. مؤلف علم احمد بن حنبل وجامعه ومرتبه. وله مصنفات كثيرة في الفقه، وله كتاب «السنّة» و «العلل» و «الجامع». مات في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاثمائة عن نحو ثمانين سنة[2].

- ولإتمام ذكر مذاهب أهل السنّة أذكر نبذة موجزة عن المذهب الظاهري:

- إمام هذا المذهب هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان الأصبهاني البغدادي ومما جاء في التعريف به، وبمذهبه أنه الحافظ الفقيه المجتهد فقيه أهل الظاهر، وقد نشر مذهبه في بغداد، فمثّل الطرف المقابل لغلاة القياسيين من المذاهب الأخرى وعرفت نزعته بـ«الظاهرية» ومذهبه بـ«المذهب الظاهري». ويتبع هذا المذهب في المشرق جماعات في العراق وخراسان والشام وأفراد في غيرها.

وقد كان داود الظاهري بصيراً بالحديث: صحيحه وسقيمه، إماماً ورعاً، ناسكاً زاهداً وله تصانيف عديدة منها «ابطال القياس» و «خبر الواحد» و «الخبر الموجب للعلم» و «الحجة». أخذ العلم عن اسحاق وأبي ثور، وسمع القعنبي، وحدّث عنه ابنه محمد وزكريا السّاجي.

ولد سنة مائتين، ومات في رمضان سنة سبعين ومائتين[3] ومن أصحابه

---

(1) طبقات الفقهاء ص 171 وله ترجمة في طبقات الحنابلة. والعبر للذهبي.

(2) طبقات الفقهاء ص 171، وطبقات الحفاظ ص 329 - 330 وله ترجمة في طبقات الحنابلة وتذكرة الحفاظ، والعبر للذهبي.

(3) طبقات الحفاظ ص 253 - 254، وكتاب: ملخص ابطال القياس، والرأي والاستحسان والتقليد =

الأعلام الذين عملوا على خدمة مذهبه ونشره:

ـ ابنه أبو بكر محمد بن داود، ومما جاء في التعريف به أنه كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً.

وحكى القاضي أبو الحسن الخرزي أن أبا بكر لما جلس بعد وفاة أبيه في حلقته يفتي، استصغروه، فدسّوا إليه رجلاً، فقالوا له: سله عن حد السكر ما هو؟ فأتاه الرجل فسأله عن حد السكر ما هو ومتى يكون الإنسان سكران؟ فقال محمد: إذا عزبت عنه الهموم وباح بسرّه المكتوم. فاستحسن ذلك منه وعلم موضعه من أهل العلم.

ومن تآليفه: «الوصول إلى معرفة الأصول». مات سنة سبع وتسعين ومائتين وله اثنتان وأربعون سنة[1].

ـ أبو الحسن عبد الله بن احمد المغلس. ومما جاء في التعريف به أنه أخذ العلم عن أبي بكر بن داود، وكان إماماً في المذهب، وله كتاب جليل يعرف بـ«الموضح» على كتاب المزني. وعنه انتشر علم داود في البلاد. مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[2].

ـ أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، ومما جاء في التعريف به أنه الإمام العلم الأشهر وحيد دهره صاحب الكتب العظيمة التي منها «المحلى» ذكر فيه مسائل الظاهرية.

قال ابن بشكوال: ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الإسلام

= والتعليل «لابن حزم الاندلسي» تحقيق سعيد الافغاني: مطبعة جامعة دمشق: سنة 1379هـ/ 1960م ص 6.

(1) طبقات الفقهاء ص 175 الفكر السامي ج 2 ص 41 وله ترجمة في تاريخ بغداد وشذرات الذهب، ووفيات الأعيان والفهرست.

(2) طبقات الفقهاء ص 177 وله ترجمة في الفهرست، والعبر للذهبي.

وأوسعهم معرفة، مع توسّعه في علم اللسان. ووفور حظّه من البلاغة والشعر.

ألف في علم الحديث والمستندات كثيراً، وألف في فقه الحديث «الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنّة والاجماع» وكتاب «الاحكام لأصول الاحكام» وكتاب «الفصل في الملل والنحل» وكتاب «إبطال القياس والرأي» وكتاب «الاجماع ومسائله على أبواب الفقه».

كان أول أمره شافعياً ثم صار ظاهرياً متحمّساً له ومدافعاً عنه.

قال مفتخراً بمذهبه: ألم تر أني ظاهري وأنني* على ما بدا حتى يقوم دليل وكان ورعاً شديد التمسك بالدين. توفي سنة ستّ وخمسين وأربعمائة[1].

فهذه المدرسة الكبرى مدرسة فقهاء المسلمين وعلمائهم الراسخين في العلم، الممتدة في أبعادها من العصر الأول من عصور الإسلام، إلى عصرهم الأخير الذي ينتهي ـ كما وعدهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بانتهاء دور الإنسان في هذه الحياة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال ـ مبلغاً وحي ربّه ـ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[2] وقال: «لا تزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرّها من خالفها»[3] وقال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ حتى تقوم الساعة»[4].

فهذه المدرسة الكبرى هي المعتمدة والموثوق بها في مجال التأويل الحاد الهادف إلى بيان المراد من النصّ القرآني، ومن النص النبوي، ما دام القرآن

---

(1) الفكر السامي ج 2 ص 42 وله ترجمة في «مطمح الأنفس» و«المغرب» و«شذرات الذهب».

(2) (3) (4) الجامع الصغير للسيوطي، المطبعة الميمنية، الناشر مصطفى البابي الحلبي وأخواه مصر بدون تاريخ ج 2 ص 173. الحديث الأول رواه البخاري ومسلم عن المغيرة والثاني أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة وأشار له السيوطي بعلامة صحيح والثالث أخرجه الحاكم وأشار السيوطي اليه بعلامة حديث صحيح.

الكريم، والسنّة النبوية، وما دام العلماء المسلمون الراسخون في العلم يجتهدون ويستنبطون ويستنتجون وما دام عطاؤهم الفكري الإسلامي لا يحيد عن طريق الهدى والرشد ولا تتفرق به السبل عن سبيل الله.

فالقرآن الكريم والسنّة النبوية المبيّنة له يشتملان كما هو مبيّن في كتب أصول الفقه[1] على أنواع من الأحكام تغطي قضايا وأبعاد مسيرة الإنسان في هذه الحياة، وفيما بعدها من الحياة الأخرى. وقد أجملها علماء الأصول في أنواع ثلاثة:

الأول: أحكام اعتقادية تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر.

الثاني: أحكام خلقية تتعلق بما يجب على المكلّف أن يتحلّى به من فضائل وأن يتخلّى عنه من الرذائل.

والثالث: أحكام عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات وهذا النوع الثالث هو فقه القرآن.

وحول هذه الأنواع الثلاثة كان عمل العلماء في أنظارهم وآرائهم من حيث الاستنباط والاجتهاد، ومن حيث الاستنتاج والتأويل.

وقد قام عبد الوهاب خلاف في كتابه «علم أصول الفقه» ببيان أبعاد الأحكام العملية في القرآن، وماذا تنتظم من الأنواع، وكم آيات أحكام المعاملات فقال:

والأحكام العملية في القرآن تنتظم نوعين: أحكام العبادات من صلاة

(1) هي كثيرة منها «الرسالة» للإمام الشافعي و«المستصفى» للغزالي و«المحصول» للرازي و«الأحكام» للآمدي و«تنقيح الأصول» لصدر الشريعة، وشرحه «التوضيح في حلّ غوامض التنقيح» له و«جمع الجوامع» للسبكي و«التحرير» لابن الهمام و«الموافقات» للشاطبي و«اصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله و«علم اصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف.

وصوم وزكاة وحج ونذر ويمين ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه. وأحكام المعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرها مما عدا العبادات ومما يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفراداً أم أمماً أم جماعات.

فأحكام ما عدا العبادات تسمى في الاصطلاح الشرعي أحكام المعاملات وأما في اصطلاح العصر الحديث فقد تنوعت أحكام المعاملات بحسب ما تتعلق به وما يقصد بها، إلى الأنواع التالية:

1 ـ **أحكام الأحوال الشخصية**، وهي التي تتعلق بالأسرة من بدء تكونها ويقصد بها تنظيم علاقة الزوجين والاقارب بعضهم ببعض وآياتها في القرآن نحو السبعين.

2 ـ **والأحكام المدنية**، وهي التي تتعلق بمعاملات الأفراد ومبادلاتهم من بيع وإجارة، ورهن وكفالة، وشركة ومداينة، ووفاء بالالتزام، ويقصد بها تنظيم علاقات الأفراد المالية وحفظ حق كل ذي حقّ. وآياتها في القرآن نحو السبعين.

3 ـ **والأحكام الجنائية**، وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم، وما يستحقه عليها من عقوبة، ويقصد بها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم، وحقوقهم، وتحديد علاقة المجني عليه بالجاني وبالأمة وآياتها في القرآن نحو الثلاثين.

4 ـ **وأحكام المرافعات**، وهي التي تتعلق بالقضاء والشهادة واليمين، ويقصد بها تنظيم الاجراءات لتحقيق العدل بين الناس، وآياتها في القرآن نحو الثلاث عشرة.

5 ـ **والأحكام الدستورية**، وهي تتعلق بنظام الحكم وأصوله، ويقصد بها

تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم، وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق، وآياتها في القرآن نحو العشرة.

6 ـ **والأحكام الدولية**، وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الإسلامية لغيرها من الدول، وبمعاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ويقصد بها تحديد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم وفي الحرب، وتحديد علاقة المسلمين بغيرهم في بلاد الدول الإسلامية، وآياتها نحو الخمس والعشرين.

7 ـ **والأحكام الاقتصادية والمالية**، وهي التي تتعلق بحق السائل والمحروم في مال الغني، وتنظيم الموارد والمصارف، ويقصد بها تنظيم العلاقات المالية بين الاغنياء والفقراء، وبين الدولة والأفراد. وآياتها نحو العشرة[1].

وفي ضبطه لعدد آيات الأحكام على هذا النحو، قد يكون متأثراً بما ذهب إليه مقاتل بن سليمان من تحديد وتعداد، فقد قدّرها بما في ذلك أحكام العبادات والمعاملات بخمسمائة آية.

ومقاتل هو أول من أفرد آيات الأحكام في تصنيف، وتابعه في ذلك الغزالي، وابن العربي، وقد نازعهم ابن دقيق العيد في هذا التقدير وقال: مقدار آيات الأحكام لا ينحصر في هذا العدد، بل يختلف باختلاف القرائح والاذهان، وما يفتحه الله من وجوه الاستنباط، والراسخ في علوم الشريعة يعرف أن أصولها وأحكامها ما يؤخذ من موارد متعددة، حتى الآيات الواردة في القصص والأمثال[2].

---

(1) «علم اصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف الناشر: دار القلم: كويت الطبعة العاشرة سنة 1392هـ/ 1972م ص 32 - 33.

(2) بتصرف عن كتاب «الشريعة الإسلامية» لفضيلة الإمام محمد الخضر حسين طابعه وناشره علي الرضا التونسي سنة 1391هـ/ 1971 ص 7 - 8.

وبهذا يكون تعداد آيات الأحكام ـ وضبطها ـ من القدامى أو الجدد ـ وهو من باب الإجمال والتقريب، لا من باب الحصر والتحديد. وذلك لأن ما جاء به القرآن من تشريع هو صالح لكل زمان ومكان، وما يتراءى للمجتهدين أو يطرأ أمامهم من القضايا المستجدة والمتطورة بتطور الإنسان في بيئته وزمانه يفرض عليهم الاتيان بالجديد من الأحكام بواسطة الاستنتاج والاستنباط في حدود القواعد العامة والمبادىء الأساسية، والمثل والأهداف المستمدة من هدي القرآن والسنّة النبوية، الذي شرع الله لعباده.

وصلوحية القرآن لكل زمان ومكان تبدو جليّة واضحة لكل متأمل فيه متدبّر له. ومستجيب لهديه، حيث أحكامه على نوعين: أحكام تفصيلية وأحكام عامة.

فالأحكام التفصيلية هي التي تكفل الله ببيانها وتوضيحها، وبتفصيلها في كتابه الكريم ولم يتركها لاجتهاد البشر، إذ هي في حكمتها وأهدافها الجوهرية خارجة عن مجال عقولهم، وغير خاضعة لما يعتبرونه في حياتهم تطوراً وتقدّماً، وهي أحكام العبادات، وما يلحق بها من أحكام الأحوال الشخصية، والمواريث، ومن أحكام بعض العقوبات والحدود.

وإنما لم يترك الله بيانها وتفصيلها لاجتهاداتهم، لأنها أحكام لا يمكن أن ينال من صلاحها ويقين نفعها، ومن عدالتها التي تتماشى وطبيعة البشر. وخصائصهم وامكاناتهم، حسب طاقاتهم الجسدية والعقلية وحسب ما هم مكلفون به ومسؤولون عنه، وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، لا يمكن نظراً لكل ذلك، أن ينال منها تقدمهم في حياتهم أو تطورهم في بيئتهم ومنهج حياتهم، ولا يمكن أن يشرعوا لأنفسهم أعدل ولا أسلم ولا أنفع لهم منها مهما تطوروا ومهما حقّقوا لأنفسهم من تقدّم لأنها أحكام مفصلة ومحددة من لدن حكيم خبير لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وهو

عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عنه خافية، ولا يغيب عن علمه ما ينفع عباده، وما تستقيم عليه حياتهم، ويتمّ به صلاحهم، كما لا يغيب عنه أنه لو ترك لهم أمرها لضلّوا وأضلّوا، لقصور نظرتهم في هذا المجال، وطغيان عواطفهم، وتشعب أهوائهم، وشهواتهم فيه.

وأما الأحكام العامة فهي أحكام القرآن فيما عدا ذلك، حيث إنه فيما عدا العبادات، وفيما عدا أحكام الأحوال الشخصية والمواريث وبعض العقوبات والحدود، أتى بقواعد عامة، وأحكام كليّة، ومبادىء أساسية، لم يتعرض فيها لتفصيلات جزئية إلا في القليل النادر، اعتباراً منه وتوجيهاً للعباد، إلى أن الأحكام في بقية المجالات تتطور بتطور البيئات والمصالح ولهذا اقتصر في هذا الميدان على الاتيان بالقواعد العامة والمبادىء الأساسية والأحكام الكلية، ليسير الناس على هديها وترك الاتيان بالأحكام التفصيلية للقضايا المستجدة والمستحدثة، لأولي الأمر من المسلمين أصحاب المعرفة واليقين، وأصحاب الاختصاص والاجتهاد، ليستنبطوا ويستخرجوا الأحكام للقضايا المستجدة والطارئة في حياة الناس مستندين في اجتهادهم واستنباطهم للأحكام على ما جاء به القرآن وشرعه من قواعد عامة، ومبادىء أساسية وأحكام كلية التي ترجع إلى هدف عام للشارع، وهو تحقيق مصالح العباد بما يكفل لهم ضرورياتهم، ويوفر لهم ما يمكنهم من الحصول على حاجياتهم وتحسيناتهم. وهذا ما أمر الله به في كتابه الكريم عندما عرض لبيان مصادر التشريع التي هي الكتاب والسنّة، والاجماع، والقياس الواقعان من أولي الأمر أصحاب الرأي الواعي الرشيد وأرباب المعرفة والعلم بالمصلحة التي تستقيم عليها حياة العباد، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾[1].

(1) سورة النساء آية 59.

فالأمر بإطاعة الله وإطاعة رسوله، أمر باتباع القرآن والسنّة، والأمر بإطاعة أولي الأمر من المسلمين أمر باتباع ما اتفقت عليه كلمة المجتهدين منهم الذين يراقبون الله ويخشونه، في قضية من القضايا أو في حكم من الأحكام والأمر برد الوقائع المتنازع فيها إلى الله والرسول، أمر بالاجتهاد وباتباع القياس فيما لا نصّ فيه من القرآن والسنّة، ولا إجماع. فالقياس هو الأصل الرابع من أصول الشريعة الإسلامية، وبه اتسع نطاق أحكامها، وصارت تتناول من القضايا ما لا يتناهى. وبذلك كانت صالحة لكل زمان ومكان، إذ القياس كما هو معلوم عند علماء الفقه والأصول، هو أن يعمد المجتهد إلى واقعة لم يرد فيها حكم من القرآن أو السنّة لأنها طارئة في حياة الناس، فيعطيها حكم واقعة أخرى، ورد فيها حكم من القرآن أو السنّة، اعتماداً على اشتراك الواقعتين في علّة الحكم.

ثمّ نصوص القرآن الحاملة لأحكامه على اختلاف أنواعها هي في دلالتها تنقسم إلى قسمين: نص قطعي الدلالة على حكمه، ونصّ ظنّيّ الدلالة على حكمه.

فالنص القطعي الدلالة هو ما دلّ على معنى متعيّن فهمه منه، ولا يحتمل تأويلاً ولا مجال لفهم معنى آخر غيره منه. وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿**ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد**﴾[1] فهذا النص قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحال النصف لا غير.

وكقوله تعالىٰ: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾[2] فهذا النص قطعي الدلالة على أن حدّ الزنا مائة جلدة لا أكثر ولا أقلّ في غير المحصن والمحصنة، وكذلك كل نصّ دلّ على فرض في الارث مقدر أو على حدّ في العقوبة معين، أو على نصاب محدد.

وأما النصّ الظني الدلالة، فهو ما دلّ على معنى، ولكن يحتمل أن يؤول

(1) سورة النساء آية 12. (2) سورة النور آية 2.

ويصرف إلى معنى آخر غيره، يقبله ويدل عليه كقوله تعالىٰ: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾[1] فلفظ القروء مشترك بين معنيين: يطلق لغة على الطهر ويطلق لغة أيضاً على الحيض. والنص دلّ على أن المطلقات يتربصن ثلاثة قروء، فيحتمل أن يكون المراد ثلاثة أطهار، ويحتمل أن يكون ثلاث حيضات فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين، ولهذا اختلف المجتهدون في أن عدة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار، وكقوله تعالىٰ: ﴿**حرمت عليكم الميتة**﴾[2] فلفظ الميتة عام والنص يحتمل الدلالة على تحريم كل ميتة، ويحتمل أن يخصص التحريم بما عدا ميتة البحر.

وهكذا كل نص مشترك، أو عام، أو مطلق، أو نحو ذلك يكون ظنّي الدلالة، لأنه يدلّ على معنى ويحتمل الدلالة على غيره.

وهذا هو موطن ومناط اجتهاد الأئمة الفقهاء وميدان تأويلهم. ولمعرفة هل كانوا في تأويلهم دافعهم الحقّ، وغايتهم إدراك الحقيقة؟ أم دافعهم الهوى واتباع الشهوات؟.

وقبل الإجابة عن هذا السؤال نقف عند الميزان القرآني الذي به ندرك متى يكون المتأول لآياته متجهاً في طريق الحقّ، ومتى يكون منحدراً إلى هوّة الباطل.

والميزان القرآني نجده في قوله تعالىٰ: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾[3].

---

(1) سورة البقرة آية 228.

(2) سورة المائدة آية 3.

(3) سورة آل عمران آية 7.

فالآية تجعل للتأويل ميزاناً ذا كفّتين: كفّة التأويل الذي ينشد الحقّ ويعمل على توضيح الرؤية، ويسعى إلى إدراك الحقيقة. وكفّة التأويل الذي يتّبع الهوى ويطفىء النور، ويبغي إثارة الفتنة ونشر الضلال.

ولتجلية أبعاد هذا الميزان أوضح أنظار العلماء حوله، فهم في تأويلهم لهذا على فريقين:

فريق يتأول الآية على وجه من القراءة يؤدي إلى أن متشابه القرآن لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، على تأويل عطف «الراسخون في العلم» على اسم الجلالة «الله» فيكون المعنى: حصر علم متشابه القرآن في الله عزّ وجلّ وفي العلماء الراسخين في العلم، ويكون قوله تعالىٰ: ﴿يقولون آمنّا به﴾ من حيث النسج والتركيب حالاً من ﴿الراسخون في العلم﴾ أي وهم مع علمهم الراسخ لتأويل متشابه القرآن يقولون آمنا به، قال فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه «بلاغة القرآن» في قولهم آمنا به، إيحاء إلى أن إيمانهم به هو الذي دعاهم إلى أن يسلكوا في تأويله الطريقة اللائقة به، وفي ذلك تعريض بأن من اتّبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة، وتأولوه على ما يوافق أهواءهم ليسوا بمؤمنين[1].

ووجّه هذا الفريق ما ذهب إليه من تأويل أن الله تعالىٰ أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة. ولسائل أن يسأل هنا: من الراسخون في العلم الذين حباهم الله بعلم تأويل ما تشابه من القرآن؟.

فأحسن إجابة عن هذا السؤال هي الإجابة التي تقول: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله تعالىٰ، والتواضع فيما بينه

(1) كتاب «بلاغة القرآن» للشيخ محمد الخضر حسين. الناشر علي الرضا التونسي سنة 1391 هـ/ 1971م ص 40.

وبين الناس، الزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين النفس[1].

وذلك لأن التقوى تجعله حذراً جاداً لا يفتري على الله، ولا يؤول كتابه بما لا يرضيه، وبما لا يرضي الحقّ، أو بما يتجنّب الصواب، ويبتعد عن الحقيقة والتواضع يجعله بعيداً عن الغرور والادّعاء، فلا يقول إلا صدقاً ولا يؤيد إلا حقّاً.

والزهد يجعله طليقاً فلا يستجيب لمغريات المادة التي تحجب العقل عن وضوح الرؤية والقلب عن برد اليقين. والمجاهدة تجعله يقظاً لا يقع في أسر الشهوات، ولا يستسلم لهوى النفس.

وفريق يتأول الآية على وجه من القرآء يؤدي إلى أن متشابه القرآن لا يعلم تأويله إلا الله وحده، على تأويل أن الكلام في الآية تمّ عن قوله تعالىٰ: ﴿**إلّا الله**﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به**﴾. فالراسخون في العلم مبتدأ وجملة يقولون آمنا به خبر والمعنى المستفاد هو أن تأويل متشابه القرآن لا يعلمه إلّا الله سبحانه وتعالىٰ، وأما الراسخون في العلم أي الثابتون فيه وهم الذين أتقنوا عملهم بحيث لا يدخل في علمهم شكّ، يقولون: آمنا وصدقنا بما تشابه من آي القرآن وأنه حقّ وإن لم نعلم تأويله.

وهذا الفريق يذهب في تأويله إلى أن في القرآن تأويلاً استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وعلم الحروف المقطعة في أوائل السور، وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه، فالإيمان به واجب، وحقائق علومه مفوّضة إلى الله تعالىٰ.

وهذا قول أكثر المفسرين، وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه، وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين.

---

(1) تفسير الخازن ج 1 ص 281 طبعة قديمة بدون تاريخ.

وسند الفريقين فيما ذهبا إليه من تأويل لهذه الآية هو أن التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان:

أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً وقال يا أبت هذا تـأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً**﴾[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحقّ**﴾[2]. أي حقيقة ما أخبروا به أمر المعاد. فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عزّ وجلّ، وأما عباده فهم كما وصفهم بقوله تعالىٰ: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون* يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا**﴾[3].

وهذا سند من يقول لا يعلم تأويل متشابه القرآن إلا الله عزّ وجلّ.

وثانيهما: التأويل بمعنى التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقولـه تعالىٰ: ﴿**نبئنا بتأويله**﴾[4] أي بتفسيره فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على ﴿**والراسخون في العلم**﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبـوا به، وبهـذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه.

وهذا سند من يقول تأويل متشابه القرآن يعلمه الله والراسخون في العلم.

هذا من حيث الناحية التي أدت بالعلماء إلى تأويل هذه الآية، أعني الآية السابعة من سورة آل عمران ليقتربوا من المراد منها.

وأما من حيث صريح الآية الذي جعل المتأولين لا يخرجون عن كفّتي الميزان الذي تضمنه وبه اما أن يكونوا قاصدين بتأويلهم الوصول إلى الحقيقة

---

(1) سورة يوسف آية 100.
(2) سورة الأعراف آية 53.
(3) سورة الروم آيتا 6 - 7.
(4) سورة يوسف آية 36.

لإقرار الحق، وتوضيح الرؤية، وتقوية اليقين، واما أن يكونوا قاصدين إثارة الشبهات ونشر الفتنة لاغراق الناس في الحيرة، وإلقائهم في متاهات الضلال، فالأمر بيّن لم يختلف المتأولون في تجلية وإبراز كفّتي الميزان منه.

وإذا ما تأملنا في عمل الفقهاء في مجال التأويل نجده في الكفّة الأولى من الميزان القرآني، كفّة الاجتهاد من أجل الوصول إلى إدراك الحقيقة، أو القرب منها لإقرار الحقّ، حيث كان هدفهم من التأويل للنصوص المحتملة، استنباط واستنتاج الأحكام الفرعية في مجالي العبادات والمعاملات، على ضوء ما في القرآن من هدي، وما في سنّة الرّسول عليه الصلاة والسلام من توجيه.

فالقرآن الكريم نزل مشتملاً على آيات كثيرة من الأحكام الفقهية التي تتعلق بصالح العباد في دنياهم وأخراهم ـ بعضها صريح في دلالته لا يحتمل غير وجه واحد، وبعضها يحتمل أكثر من وجه وهو مناط للتأويل.

وكان الصحابة في حياة الرسول ـ ﷺ ـ يتلقون بيان ما أشكل عليهم من الرسول مباشرة ولا يحتاجون إلى التأويل، وبعد حياة الرسول الأكرم كانوا أحياناً يتّفقون على الحكم، وأحياناً لا يتّفقون، فيلجؤون إلى التأويل والاستنتاج رائدهم في ذلك طلب الحق وحده، فإذا ما تبين لأحد المخالفين بعد تأويله واستنتاجه أن الحقّ فيما ذهب إليه مخالفة، رجع إلى رأيه وأخذ به، كالخلاف الذي وقع في نصيب الجدّ مع الإخوة من تركة حفيده، فقد كان رأي أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن الجد أب، أي فلا شيء للإخوة من الميراث معه، ولعله نظر إلى قول الله تعالىٰ: ﴿**واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾[1] مع أن الأولين: ابراهيم واسحاق ـ عليهما السلام ـ كانا جدين.

ويظهر أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان من رأي الصدّيق أولاً،

---

(1) سورة يوسف آية 38.

ثم صار له رأي آخر فيما بعد يجعل للإخوة نصيبهم من الميراث مع وجوده، وللعمل بأحد الرأيين أخذ عمر يستشير فقهاء الصحابة.

ولعلّ الذي أثار هذه المسألة بقوّة، ودفع عمر للاستشارة بشأنها انه كان أول جدّ ورث في الإسلام حيث مات ابن لابن له، ولهذا يذكر البيهقي[1] ان عمر كان يكره الكلام في ميراث الجدّ، فما صار جدّاً قال: هذا أمر قد وقع لا بدّ للناس من معرفته. ثم أخذ يستشير.

ومن الذين استشارهم زيد بن ثابت، وقد روي أنه ذهب إليه بنفسه فقال له زيد: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ جئتك؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه: إنما الحاجة لي، اني جئتك لتنظر في أمر الجدّ، وبعد محاورة بينهما انتهى الأمر بأن كتب له زيد رأيه في قطعة قتب، وضرب له في ذلك مثلاً.

وكان مما قاله في المثل الذي ضربه: إنما مثله مثل شجرة نبتت على ساق واحد فخرج فيها غصن، ثم خرج في الغصن غصن آخر. فالساق يسقي الغصن، فإن قطع الغصن الأول، رجع الماء إلى الغصن، يعني الثاني، وإن قطعت الثاني رجع الماء إلى الأول، وكان بعد هذا أن خطب الناس ثم قرأ عليهم ما كتب زيد، ثم قال: «إن زيد بن ثابت قد قال في الجد قولاً وقد أمضيته» وهذا بعد أن كان يرى أنه يأخذ المال كلّه باعتباره جدّاً يحجب الإخوة لأنه أب على المجاز.

وفي رواية أخرى، أن زيد بن ثابت قال في هذه الرسالة التي كتبها وكانت طويلة: «وكان رأيي يومئذ أن الإخوة هم أولى بميراث أخيهم من الجدّ، وعمر ابن الخطاب يرى يومئذ أن الجدّ أولى بميراث ابن ابنه من إخوته» قال زيد فضربت لعمر ـ رضي الله عنه ـ في ذلك مثلاً فقلت له: «لو أن شجرة تشعب من

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 247 - 248 طبع حيدر آباد بالدكن بالهند.

أصلها غصن، ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان[1] ذلك الغصن يجمع ذينك الخوطين دون الأصل ويغذوهما ألا ترى يا أمير المؤمنين أن أحد الخوطين أقرب إلى أخيه منه إلى الأصل؟».

قال زيد: اضرب له أصل الشجرة مثلاً للجدّ، واضرب الغصن الذي تشعب من الأصل مثلاً للأب، واضرب الخوطين اللذين تشعبا من الأصل للإخوة.

ويروى أن عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن سمع زيد بن ثابت ما قال، أرسل إلى عليّ ـ رضي الله عنه ـ يسأله رأيه، فكان رأيه رأي زيد. إلا أنه في تمثيله للأمر ضرب مثلاً بسيل سال فانشعبت منه شعبة، ثم انشعبت منه شعبتان، ثم قال: «أرأيت لو أن ماء هذه الشعبة الوسطى رجع أليس إلى الشعبتين جميعها؟».

وهكذا انتهى عمر إلى رأي علي وزيد بن ثابت ومعهما عبد الله بن مسعود بعد أن كان على رأي أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ وذلك بعد أن تبيّن له قوّة حجّتهم في المسألة[2].

ومن أمثله اختلافهم المقام على التأويل والاستنتاج الذي رائده وغايته طلب الحقّ وحده، ما وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ في تقسيم ميراث من مات عن زوج وأبوين، فإن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أفتى بأن للزوج النصف، وللأم الثلث من كامل التركة، والباقي للأب تأولاً منه للآية الحادية عشرة من سورة النساء وهي قوله تعالىٰ: ﴿**فإن لم يكن له ولد وورثه**

---

(1) الخوط: هو الغصن الدقيق.

(2) لمزيد التبسط في المسألة فليرجع الى السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 247 - 248 والى أعلام الموقعين لابن القيم ج 1 ص 212 - 213، والى تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى ج 1 ص 55 - 58 مطبعة المعرفة بدون تاريخ.

أبواه فلأمه الثلث﴾ أي من كامل التركة وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ومعه بقية الصحابة أفتوا بأن للأم ثلث الباقي بعد فرض الزوج تأولاً منهم لنفس الآية نظراً إلى أن الأب والأم ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة أي الأبوة فللذكر مثل حظ الأنثيين[1].

فهذا المنهج من التأويل والاستنتاج، ومن الاستنباط طلباً للحق وحده ورجوع أحد المتأولين للآخر إذا ما تبين له أن الحق فيما ذهب إليه مخالفة من تأويل أو اعتبار كل ذي رأي أن رأيه مع رأي مخالفه يمثلان وجهين لعملة واحدة هي الحق. وبذلك فهما متفقان في النهاية وليسا بمختلفين، وما قاما به من تأويل واستنتاج إنما هو توضيح لأوجه احتمالات النص التي منها يستمدّ ويستنتج الحكم المراد.

وقد استمرّ هذا المنهج في عمل الفقهاء وفي طريقة تأويلهم من عهد الصحابة إلى التابعين وإلى تابعي التابعين إلى عهد ظهور أئمّة المذاهب الفقهية، تأويل واستنتاج من غير تعصب ولا تحامل بعضهم على بعض، وشهادة الأئمّة لبعضهم بعضاً المتقدم ذكرها في التعريف بهم خير دليل وشاهد على ذلك.

وأقصى ما يتعاملون به للدفاع عما وصلوا إليه من تأويل واجتهاد قولهم المشهور، ـ نقله عنهم ـ: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب».

وبهذا حقّق الأئمّة الفقهاء بواسطة مدرستهم الفقهية فلسفة تشريعية رحبة الأرجاء، واسعة الأبعاد لم يعرف البشر في مجال التشريع والاستنتاج والاستنباط بواسطة الاجتهاد والتأويل المراد به الحق وحده مدرسة أوسع منها، ولا أزكى عطاء من عطائها، ولم يتوقف عطاؤها ولم تتوار تغطيتها للقضايا والأحداث إلا عندما تخلى الفقهاء في عصر التقليد والجمود عن الاجتهاد وعن النظر

(1) التفسير والمفسرون للذهبي ج 3 ص 99.

والاستنباط وعن عمق التأويل واستقامة الاستنتاج، واشتغلوا بالتعصب والتناحر المذهبي وبالتأويل الذي ابتغوا به الفتنة دعماً لتعصبهم، وتغذية لتناحرهم.

وهذا التعصب، وإن انحدر إليه بعض اتباع المذاهب في فترة الجمود والتقليد، لا يقدح ـ عند المحققين من أولي المعرفة والعلم ـ في عمل أئمّة الفقه المجتهدين وفي انتاجهم العملاق في مجال الاستنتاج والاستنباط وفي ميدان فلسفة التشريع وضبط قواعده، وتقنين أحكامه، لأنهم برءاء من التعصب ومن الدعوة إليه.

وإنما يدل على أن أصحابه الذين يمتهنونه ويدعون إليه ليسوا من العلماء، وغير العالم لا يحتج بقوله ولا يعتد برأيه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ مبيناً مراحل تلقي العلم والمعرفة، تلقي هدى الله وشريعته ـ : ولما كان التلقي عنه ـ ﷺ ـ على نوعين: نوع بوساطة ونوع بغير وساطة. وكان التلقي بلا وساطة حظّ أصحابه الذين حازوا قصبات السباق. واستولوا على الأمد، فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهاجهم القويم والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال. فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذباً صافياً زلالاً، وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً، فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان. وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، وكان سندهم فيه عن نبيّهم ﷺ عن جبريل، عن ربّ العالمين سنداً صحيحاً عالياً فقالوا: هذا عهد نبيّنا إلينا وقد عهدنا إليكم، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجرى التابعون بإحسان على منهاجهم القويم، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم، ثم سلك تابعو

التابعين هذا المسلك الرشيد، وهدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد، وكانوا بالنسبة إلى من قبلهم كما قال أصدق القائلين: ﴿**ثلّة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾.

ثم جاءت الأئمّة من القرن الرابع المفضّل في إحدى الروايتين. كما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وعمران بن حصين، فسلكوا على آثارهم اقتصاصاً، واقتبسوا هذا الأمر من مشكاتهم اقتباساً، وكان دين الله سبحانه أجلّ في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدّموا عليه رأياً أو معقولاً أو تقليداً أو قياساً، فطار لهم الثناء الحسن في العالمين، وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين. ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم، ودرج على منهاجهم الموفّقون من أشياعهم، زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال يسيرون مع الحقّ أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلّت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته[1] طاروا إليه زرافات ووحداناً[2] إذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إليه ولا يسألونه عما قال برهاناً[3] ونصوصه أجلّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليها قول أحد من الناس أو يعارضوها برأي أو قياس.

ثم خلف من بعدهم خلوف فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون، وتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً[4] وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿**إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم**

---

(1) الأخذة ـ بضم الهمزة ـ رقية كالسحر ـ يريد انهم يهرعون الى الأدلة القوية التي تأخذ بمجامع القلوب.

(2) زرافات: جماعات، وحداناً: متفرقين، والمعنى انهم ذهبوا جميعاً فلم يتخلف احد.

(3) اخذ هذا المعنى من قول شاعر الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

(4) زبراً: قطعاً، والمعنى انهم متفرقون.

مقتدون﴾[1] والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب، ولسان الحقّ يتلو عليهم: ﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب﴾[2] قال الشافعي قدّس الله تعالىٰ روحه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنّة رسول ﷺ ـ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلّد ليس معدوداً من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وهذا كما قال أبو عمر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد.

فقد تضمّن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى، والمقلد الأعمى من زمرة العلماء[3].

وفي عصرنا اليوم بعد فترات الجمود والتيه والضياع، ومنذ أن بدأت الحركات التصحيحية عملها في العالم الإسلامي بشائر هنا وهناك، تنبىء بعودة الفقهاء وعلماء التشريع إلى العطاء من غير تعصّب ولا تناحر، وإلى التأويل من غير ابتغاء الفتنة.

وهي بشائر تتطلب من قادة المسلمين، السياسيين منهم والحكام، العون وذلك بمدها مادياً وأدبياً، بما يخرجها من مجال النظريات ومن ميدان الافتراضات والمقترحات إلى دائرة الفعل والتطبيق.

كما تتطلب منهم إبعاد الجهود المبذولة من أجلها عن المتاهات السياسية وعن صراعات الحكم.

وبإبعاد الأعمال العلمية الهادفة، لإعادة الحركة الاجتهادية المخلصة، إلى عطائها وخاصة العطاء الجماعي الذي يقضي على الخلافات التي يغذيها

---

(1) سورة الزخرف آية 23.

(2) سورة النساء آية 123.

(3) اعلام الموقعين ج 1 ص 5 - 7.

التعصب والتناحر المذهبي، ولفتح المجال أمام العلماء الراسخين في العلم، لإثراء البحث العلمي ولإعادة حركة الاجتهاد إلى ميدان انتاجها وذلك من أجل أن يسايروا بإنتاجهم العام، وبنتاجهم في مجال الفقه والتشريع قضايا الحياة المستجدّة، ومشاكل العصر المستحدثة والمتطورة.

وبإبعاد الأعمال العلمية الهادفة عن متاهات السياسة، وعن صراعات الحكم، ربح للجميع:

للعلماء حتى يتّجهوا بجهودهم الحرّة إلى جدوى الإثراء، وإلى الإخلاص في العطاء.

وللسياسيين وأصحاب الحكم حتى تترشد سياستهم، ويستقرّ حكمهم في ظلّ الحضارة الحق، وفي مناعة حصن العلم والمعرفة.

وللمجتمعات بسائر أفرادها وفئاتها وطوائفها حتى يشعروا بالأمن والطمأنينة في مسيرتهم الحياتية التي يشرف عليها أولو الأمر من سياسيين وحكّام وعلماء، يقودهم في إشرافهم التعاون، ويوحد بينهم الصدق والاخلاص.

وفي الختام ولما تقدم بيانه في هذا الفصل، فالفقهاء المجتهدون العاملون على فلسفة التشريع الإسلامي، وعلى مواصلة بذل الجهد في ميدان الاستنتاج والاستنباط لجعل شريعة الله بمباديها العامة، وبهديها الشامل وبأحكامها الكلية والجزئية، وبتوليد أحكامها، وبتفريعها اعتماداً على معطيات القياس، تغطي قضايا الإنسان في كل زمان ومكان، لا ينبغي أن نحشرهم في قائمة ما سمّيتهم بالغلاة والمعتدلين، لأنهم بعد إخراج المتعصبين من سلكهم لا يصدق عليهم إلا أنهم هداة يسيرون بالناس إلى طريق الحق، ويعملون جاهدين على إخراجهم من الظلمات إلى النور. من ظلمات الحكم بالهوى والشهوات إلى نور الحكم بشريعة الله، بواسطة اجتهادهم المقام على الاخلاص، وعلى بينة من الله وعلى أساس قويم من علم وهدى وكتاب منير.